مدارات ونقوش

Orbits & Inscriptions

العددان (28 - 29) السنة الثالثة - يونيو/ يوليو (2020)

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية | تصدر عن مركز جمال بن حويرب للدراسات

أضواء على رحلة «تشنغ خه» إلى الجزيرة العربية

الخانات... فنادق تاريخية تروي قصة الحضارة

العنقاء | أسطورة شعبية وموروث عالمي

«مسّه» مدينة منسية بهرت العالم

الجامع الأعظم في مكناس صرح ينبض بالحضارة

رحالة الإمارات سفراء التسامح والمحبة والسلام

الكائنات الخرافية في التراث الشعبي

الاتحاد 1975

كتاب يرصد إنجازات سبقت الزمن

04 **الرّبد ...** سلالة عريقة تستحق التوثيق

ملف

10 **الإمـارات 1975**
تشـييد صرح الاتحـاد

17 **وزارات الاتحاد**
إنجازات مشرِّفة في خدمة الوطن والمواطن

30 من مفكرة أخبار دبي

الإمـارات:
منـزل لكـل مواطـن

مجالس

34 رحّالة الإمارات »
سفراء التسامح والمحبة والسلام

38 الكائنات الخرافية في التراث الشعبي

42 العنقاء | أسطورة شعبية وموروث عالمـي

52 محافظة القنفدة في « الرحلة اليمانية »

62 الجامع الأعظم بحاضرة مكناس

68 مسّه المدينة المنسية التي بهرت العالم

72 الخانات... منشآت فندقية تحكي قصة حضارة

78 الصائغ الأحسائي ناشي المهنا

80 رحلة تشنغ خه إلى الجزيرة العربية

مدارات وتقوش

شهرية تعنى بالتراث والتاريخ ودراسات الخيول العربية

العددان (28 - 29) السنة الثالثة - يونيو/ يوليو (2020)

تصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

رئيس التحرير
جمال بن حويرب

هيئة التحرير
حسين درويش
خليـل البـري
مريـــم أحمـد

المدير الفني
أيمـن رمسيس

الإعلانات والتوزيع والاشتراكات
+97143940309
info@jbhsc.ae

عنوان المركز
الإمارات العربية المتحدة - دبي

الموقع الإلكتروني:
www.jbhsc.ae

Jbhscae | Jbhscae
Jbhscae | Jbhsc AE

المجالس الثقافية

أحاديث في الثقافة والتاريخ واللغة العربية

السعر
50
درهم

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center
Tel:0097143940309

جمال بن حويرب
رئيس التحرير

من أشهرها (*ربدان*) حصان الشيخ زايد الأول

الرّبد ... سلالة عريقة تستحق التوثيق

في الجزيرة العربية، حيث موطن أهم سلالات الخيول العربية، لا توجد سجلّات معروفة ولا مؤلفات منشورة عن تاريخ أعرق الخيول العربية، اللهمَّ إلا كتابات قليلة حديثة من هنا وهناك اعتنى بها بعض المستشرقين الأوروبيين وقليل من أصحاب المرابط العربية للخيول في مصر والشام مثل الأمير عباس باشا، وكانت قليلة شحيحة حتى جاء القرن التاسع عشر، فقام هؤلاء بتسجيل بعض من تاريخ الجواد العربي الذي توقف الحديث عنه منذ عصور طويلة عند انتهاء عصر التدوين العلمي لأسباب كثيرة ليس هنا مكان ذكرها. ونحن إن ذكرنا الشحَّ الذي حصل في الماضي في تدوين ما يستحق تدوينه من معلومات عن الخيول العربية، فإنني أتعجب من استمرار قلة التدوين وندرة المصادر في دول الخليج العربي، مع كثرة اعتناء الملوك والشيوخ بها في الحاضر وطيلة الأزمان الماضية، مما أدى إلى ضياع أخبارها وأصولها وأشعارها وقصصها إلا النزر القليل.

كنت في حديث مع أخي الباحث سعيد بن كراز حول قصائد الفرسان، التي نسميها «التشولية» في لهجتنا و«الحداوي» في المملكة العربية السعودية، فقال لي: لم نجد إلا أبياتاً قليلة بسبب رحيل الرواة!

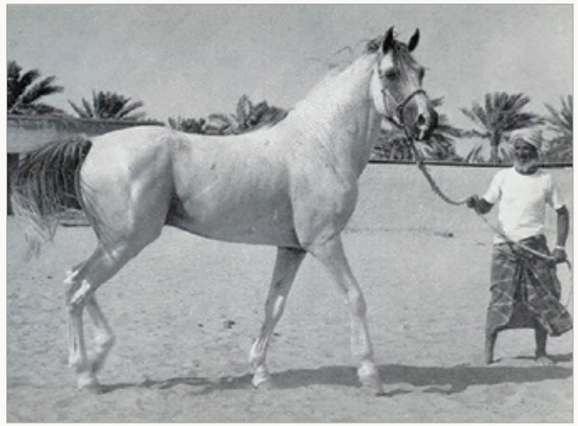

لم يكن «ربدان» حصاناً وحيداً سمّي به جواد الشيخ زايد الكبير بل هو من سلالة الربد الشهيرة منذ القدم

فقلت: هلّا أدركنا من تبقى منهم حتى لا يضيع الباقي!

وكان الحديث عن ربدان؛ حصان الشيخ زايد الأول حاكم أبوظبي، رحمه الله، الذي حكم ما بين (1855 - 1909) وكان له اعتناء كبير بالخيول العربية، وتأتيه الهدايا من الأمراء في الجزيرة العربية لمعرفتهم بحبه الكبير للجواد العربي، وكان من بين الهدايا الحصان «ربدان»، الذي تدور هذه المقالة حول سلالته، وقد ظنَّ كثير من الناس بسبب عدم معرفتهم بأصول الخيل أنَّ ربدان حصان وحيد تمَّ تسميته بهذا الاسم من قبل الشيخ زايد الأول، ولهذا أردت أن أبيِّنَ مختصراً بعض المعلومات عن الربد؛ سلالة ربدان المذكور.

أصل التسمية

«الرُّبدَة» لون الغبرة أو لون يميل إلى الغبرة، وقد عُرف النعام بلون الربدة، وهو اختلاط لون السواد مع الرماد الذي يشبه الغبرة المعروفة، ولا يزال هذا المعنى في اللهجة العامية. ويقال: إنَّ الخيول الرُّبد سُمِّيت بهذا الاسم، لأنَّ فارسها الأول لحق بها من سرعتها بنعامة، وتتميَّز سلالة الرُّبد بسرعتها وحوافرها الصغيرة، وكذلك بقوائمها القوية والخفيفة التي تشبه النعام.

وعلى هذا، فإنَّ أصل التسمية يدور حول النعام؛ إما لوناً، أو سرعةً أو لأنَّ أوَّل من امتطاها أدرك بها نعامة. وأنا أميل إلى أنَّ سرعتها هي سبب التسمية؛ لأنَّ الخيول الرُّبد تأخذ نفس ألوان باقي الخيول العربية، فلا مزية لها في اللون، وإنما التشابه في بعض الصفات، كما جاء التشبيه بالنعام كثيراً في شعر العرب فصيحه وشعبيه باستخدام مفردة «الربدة»؛ يقول طرفة بن العبد في وصف ناقته:

جمالية وجناء تردي كأنها
سَفَنَّجة تبري لأزعرَ أربدِ

وقال آخر:

إذا أقبلت قلت مشحونةٌ
أطاعت لها الرّيح قلعاً جفولا

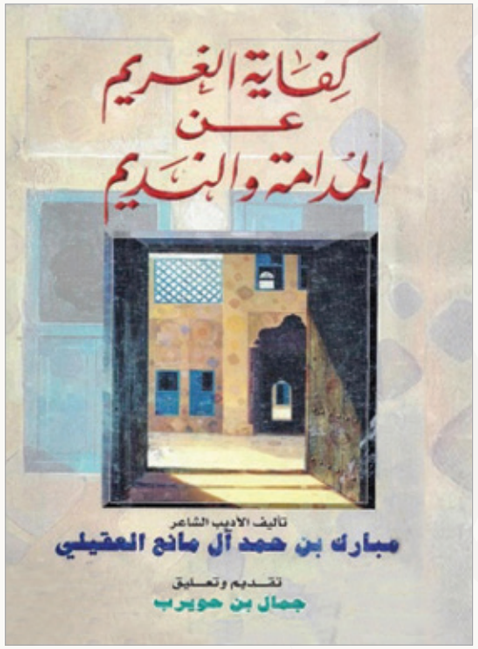

ديوان مبارك العقيلي

وإن أدبرت قلت مذعورةٌ
من الرّبد تتبع هيقاً ذمولا

وفي تشبيه ساق الجواد العربي بساق النعامة، كما جاء في وصف الخيول الربد يقول امرؤ القيس:

له أيْطَلا ظبيٍ وساقا نعامةٍ
وإرخاء سرحانٍ وتقريبُ تتفلِ

أما في الشعر العامي فأهل الجزيرة العربية يسمّون النعامة «ربدا» ويجمعونها على «ربد»، وهو كثير في أشعارهم، يقول الشاعر سالم الجمري:

الربدة لون تميَّز به النعام وأطلق على سلالة الربـد لشـبهها بتلـك الطيـور فـي سـرعتها

يـوم ادفعوهـن كنهـن ربد جفّـال

وإلا كمـا عاصـوف ريح الدواليب

وفي قول مبارك العقيلي:

من الصيعريات المذاعير في الفضا

كما جول ربدٍ رايعه شخص صيّادي

وإن سأل سائل: هل جاء في التراث اسم جواد عربي باسم الربـد؟ فالجـواب: نعـم، حيـث ورد نـصٌّ للأصمعـي مـع هـارون الرشيد نقله غير واحد من الرواة، ونصه من نهاية الأرب للنويري: «حكـي أنَّ هـارون الرشـيد ركـب فـي سـنة خمـس وثمانيـن ومائـة إلـى الميـدان لشـهود الحلبـة، قـال الأصمعـيّ: فدخلـت الميـدان لشهودها، فجاء فرس أدهم لهارون الرشيد سابقاً يقال له الرّبد؛ فسرَّ بـه الرشيد وابتهج، وقال: عليّ بالأصمعيّ، فنوديت من كل جانـب، فأقبلـت سريعاً حتى مثلت بين يديه؛ فقال: يا أصمعيّ، خذ بناصية الرّبد ثمَّ صفه من قونسه إلى سنبكه» إلى آخره.

وهـذا يـدل علـى تسـمية الخيـول بالربـد النعـام منـذ العصـور القديمة، ولعلَّ هذا الاسم كان شائعاً حينذاك، وقد تكون اسم سـلالة مـن الخيـول العربيـة لـم يتـم توثيقها.

بدايـة السـلالة

ليـس لسـلالة الرّبـد مالـك معـروف، ولا نعلـم متـى سـمِّيت بهـذا الاسـم، ولعلهـا مـن الأسـماء العربيـة القديمـة التـي توارثهـا العـرب عـن أجدادهـم، وقـد مـرَّ بنـا أنَّ هـارون الرشـيد كان الربـد مـن خيولـه، ممـا يـدل علـى قـدم المسـمى، ولكـن وإن لـم نعـرف كيـف بـدأت سـلالة الربـد (الربـدا وربـدان)، فإننـا نعلـم مـن اشـتهر بامتلاكها من العرب، كما جاء في أشعارهم وبعض الوثائق التي عُثِر عليها، وتخصُّ مبايعات لهذا السلالة الأصيلة، كما سنثبته فـي هـذا المقـال. وإن أنـسَ لا أنسـى السِّـفر الكبيـر وأهـم وثيقـة علميـة اليـوم لتوثيـق الخيـول للعربيـة فـي القـرن التاسـع عشـر، ألا وهـو كتـاب «أصـول الخيـول العربيـة» الـذي جمـع فأوعـى فـي فنـه؛ لأنـه أُعِـدَّ للخديـوي عبـاس باشـا الأول (ت 1854)، أكبـر جامـع

الخديوي عباس حلمي باشا الأول

للخيـول العربيـة فـي وقتـه، وكان مـن حبـه لهـا أن أرسـل وفـداً إلـى البـدو فـي الجزيـرة العربيـة لتوثيـق أصـول الخيـول العربيـة، فـكان للباحثيـن واسـطة عِقْـد مؤلفـات الخيـول، وسـأتحدث عنـه فـي مقـال منفصـل إن شـاء اللـه. وقـد خصّـص الجامـع لهـذا السـفر النفيـس الفصـل التاسـع عـن سـلالة الربـد، فـكان فتحـاً للدارسـين حيـث وجدنـا كثيـراً مـن المعلومـات.

جـاء فـي كتـاب «أصـول الخيـل العربيـة» فـي الفصـل التاسـع عـن سـلالة الرّبـد: «أفـاد بطحي الخشـيبي (مـن القواسـم مـن ظفيـر) أنَّ أصـل سـلالة ربـدة الخشـيبي عنـد أجـدادي مـن شـريف مكـة فـي ماضـي الزمـان؛ حيـث وقعـت معركـة بيـن قبيلـة ظفيـر والأشـراف، فسـلبها منهـم منيـخر الخشـيبي وأعطاهـا إلـى أخيـه صقـر خشـيبي، ثـمَّ غزاهـم الشـريف مـرة أخـرى وغنمـوا منـه ربـداء أخـرى وبـدؤوا ينسـلون منهمـا (وسـميت مـن ذلـك اليـوم ربـدة خشـيبي)، وبعـد ذلـك غزت عنـزة ظفيـر فغنمـت منهـم إحداهـا وبقيـت عندهـم، أمّـا التـي بقيـت عـن صقـر خشـيبي فقـد ماتـت وانقطـع رسـنها».

أهـل الجزيـرة العربيـة يسـمّون النعامـة «ربـدا» ويجمعونهـا علـى «ربـد» وهـو كثيـر فـي أشـعارهم

مـن هـذه الروايـة نسـتنبط أنَّ أصـل رسـن الربـدة مـن أشـراف مكـة، ثـمَّ أخذتـه القواسـم مـن ظفيـر، ثـمَّ انتشـر عنـد بعـض القبائـل مثـل الفدعـان مـن شـمر، ولديهـم ربـدة سليسـلي سـميت باسـم زوجـة صاحـب الربـدا سليسـلة، ثـمَّ انتقلـت سـلالة الربـد إلـى الدوشـان مـن مطيـر بعـد معركـة مـع البراعصـة فغنـم منهـم الربـدا وعرفـوا بهـا مـن زمـن فيصـل الدويـش الأول وأهداهـا لابنـه عبدالعزيـز الدويـش، ولهـا قصـة طويلـة.

كذلـك هنـاك وثيقـة نـادرة نشـرها الأسـتاذ يحيـى الكنـدري فـي مجلـة بيـت العـرب الكويتيـة، وأعدنـا نشـرها فـي هـذه المجلـة، جـاء فيهـا مـا يثبـت ملكيـة سـلالة الربـد لأسـرة الدويـش: «نعـم، حضـر ناصـر ابـن ثـلّاب الدوِّيـش، وأقـرَّ علـى أنَّـه بـاعَ علـي حسـن بـن عبدالرحمـن بـن حسـين، نِصْـفَ فَرَسِـهِ الحمـراءِ ربـداء، وقُودُهـا كلّـه بثمنٍ معلـومٍ، قبضـهُ مـن ناصـر فـي 12 شـهر ذي الحِجَّـة سـنة 1300هـ (1888م). كذلـك وجـدت هـذه السـلالة عنـد آل خليفـة الكـرام، وأهـداه إلـى السـيد سـعيد بـن سـلطان الـذي أهـداه إلـى حـكام مصـر حينهـا».

صفحة غلاف مخطوط كتاب أصول الخيل العربية

وصول ربدان إلى أبوظبي

عرفـت قبيلـة بنـي يـاس وشـيوخها الكـرام مـن آل نهيـان وآل مكتـوم بحبهـم للخيـول العربيـة واعتنائهـم بهـا منـذ قديـم الزمـان، ولـم يذكرهـم مؤرخ ولا شـاعر إلا ذكرهـم باقتنائهـم أفضـل سـلالات الخيـل، ولـي وقفـة حـول هـذا الموضـوع فـي مقـال آخـر.

يقول الشاعر العماني الكبير بن عديم الرواحي:

ومـا رجـاء بنـي يـاسٍ علـى خطـأٍ

فإنّمـا القـوم أعـوانٌ وإخـوانُ

قومٌ على صهواتِ الخيل طفلهمُ

يربو لـهُ مـن دمِ الأبطـالِ ألبانُ

ويقـول المـؤرخ العمانـي سـالم السـيابي فـي كتابـه «إسـعاف الأعيـان» عندمـا ذكـر قبيلـة بنـي يـاس: «وتلتـف عليهـم قبائـل عديـدة، تتعلـق بهـم فـي مهماتهـا أمـم، وبنـو يـاس هـم الصميـم فيهـم، أهـلٌ ببنـي يـاس بـن عامـر، أهـل الخيـل والخيـول، ولهـم الفضـل الـذي لا ينكـر».

وقـد جـاء فـي كثيـر مـن أخبـار الرحالـة والوثائـق الإنجليزيـة وغيرهـا مـن الدواويـن الشـعرية المخطوطـة القديمـة اعتنـاء آل نهيـان الكـرام بالخيـول العربيـة الأصيلـة، وعندمـا ذاع صيـت الشـيخ زايـد الأول فـي العـرب بـدأ الأمـراء والشـيوخ يهدونـه الخيـل، ولديـه نسـل خيـول أجـداده، لكـن لـم نعـرف مـن هـذه السـلالات الأصيلـة إلا مـا جـاء فـي بعـض الوثائـق والأشـعار، مثـل هديـة الشـريف عـون شـريف مكـة الـذي أخـذ صـورة لـه الرحالـة الألمانـي هرمانـت بورخـارت الـذي زار أبوظبـي عـام 1904 والتقـى الشـيخ زايـد الأول، وذكـر هـذه الهديـة مبـارك العقيلـي فـي قصيدتـه التـي يمـدح بهـا الشـيخ زايـد بـن خليفـة فقـال:

إمـام يطيعـه حضرهـا والبـوادي

وهـاداه مـن يدعـى بمكـة أميرهـا

وكذلـك أهـداه الشـيخ حمـد بـن علـي آل خليفـة حصانـاً عربيـاً مـن سـلالة شـويمان، وأرسـل لـه أبياتـاً معهـا، وردَّ عليـه الشـيخ زايـد بأبيـات جميلـة، وقـد وجـدت عـدة وثائـق مـن وصـول هدايـا

يظهر البحث الدقيق أن الشيخ زايد الأول أنتج من ربدان ولديه أيضاً ربداء أو أنه أهدي حصان ربدان آخر غير الأول

الشيوخ وسلاطين عمان والأمراء لأبوظبي حباً وتقديراً لشيخها الجليل ولأنجاله. ولأنَّ سلالة ربدان موجودة أصلاً عند الأشراف واقتناها الشيوخ آل خليفة وسلاطين عمان منذ زمن الشيخ محمد بن خليفة والسيد سعيد بن سلطان وأهدوا منها، فلا أشكُّ أنَّ الشيخ زايد الأول إما أن يكون أهدي من سلالة الربد وأنتج منها، أو أنه ورثها من أسلافه، يدل على ذلك قصيدة الشيخ علي بن سالم بوملحا المرر:

دغْنَا نصبّحهمْ على ظهر رَبْدان

تَصْبح حلايبْهُم تِسَحّبْ شمَلْها

فإذا علمنا أنَّ هذه القصيدة قيلت عام 1889 تقريباً، فلا يعقل أن يهدى ربدان بعد وفاته عام 1909 كما سيأتي؛ لأنَّ عمره سيكون كبيراً حينذاك ولا يهدى من كان في عمره، وإن كان الجواد العربي ليس كغيره من الخيول، فهو يعيش ما بين 25 و30 سنة، لكن لا يعقل الإهداء في هذا العمر، فصح إذاً أنَّ الشيخ زايد الأول أنتج من ربدان ولديه أيضاً ربداء، أو أنه أهدي حصان ربدان آخر غير الأول، والذي يقطع الشك باليقين وجود رسالة مهمة تدل على اعتناء الشيخ زايد الأول بسلالة الربد، هذه الرسالة التي نشرها أخي سعيد بن كراز في كتابه «رسائل من عهد الشيخ زايد بن خليفة»، وهي رسالة من سعيد بن محمد الحارثي إلى الشيخ أحمد بن هلال الظاهري سنة 1905م، ومنها قوله:

«إننا قد سيرنا الفلوة بنت الأربد لحضرة جناب زايد بن خليفة بعدما أشار إلينا يطلب أمّها، وأمها غير لائق القود بها حالاً؛ لأنها أولاً كانت باطي مدني، وقد أفلت ليلة عاشر بحصان، ولذلك لم تستطع القود؛ لأنه لا شكَّ أنَّ القود لها مضر، وأحببنا تصدير ابنتها لحُسن ظننا فيها؛ لأنها ربداء نص من أمها وأبيها، وأما هي بعدها صغيرة سن تكمل السنتين 29 شهر الحالي».

فدل أنَّ هناك ربدان الأول الذي ذكره بوملحا وربدان الثاني الذي حصلت عليه القصة التالية بعد وفاة حاكم أبوظبي.

ربدان بعد الشيخ زايد الأول

بعد وفاة الشيخ زايد الأول طلب الحصان الشيخ بطي بن سهيل حاكم دبي (1906-1912) وكان من المولعين بالخيل، فطلب من الشيخ طحنون هذا الحصان الأصيل، ولكن الحصان كان في طريقه إلى الشيخ عبدالعزيز بن حميد حاكم عجمان، وقيل للشيخ راشد المعلا حاكم أم القيوين، وأنا أستبعد ذلك؛ لأنَّ والدة الشيخ محمد بن زايد الأول هي الشيخ حصة بنت راشد النعيمي؛ فهو أقرب للإهداء، وكانوا معروفين باقتناء الخيول العربية. أمّا راشد المعلا فقد وقعت بعض الخلافات بينه وبين شيخ أبوظبي القوي تمَّ حلها بعد ذلك قبيل وفاته، ولهذا أستبعد أن يكون الحصان أهدي إلى حاكم أم القيوين.

عندما علم الشيخ بطي أن ربدان في طريقه إلى شيوخ عجمان، وهو الفارس الشاعر أرسل قصيدة يقول فيها مخاطباً الحصان ويذكره بفارسه الراحل:

يا غوج ما تذكر إمام عمان

شيخ البوادي والبلدْ

يا ما علاك امطوع السحلان

شيخ يهابه كل حدْ

ليت المنايا ما عدت «ربدان»

من يوم زايد في اللحدْ

فما كان من آل نهيان إلا أن طلبوا من الشيخ سلطان بن زايد الأول، وكان الشاعر فيهم، أن يردَّ على هذه القصيدة، فكان مما قال:

يا شيخ تكفى الهم والاحزان

ما مات من خلف ولد

يا ما عطينا غاليات أثمان

عجلات في رد السندْ

فأجابه الشيخ بطي بقصيدة، منها:

يا شيخنا يا ملتقى الضيفان

يا مبري صلب الرمدْ

عندنا وعندك غاليات أثمان

عجلات في رد السند

ولا ندري ماذا حصل بعد ذلك بهذه السلالة النادرة من خيول الشيخ الكبير زايد.

ربدان في ذاكرة الشعر الشعبي

ورد اسم ربدا وربدان في بعض قصائد العرب المتأخرين؛ فمنها قول الشيخ فيصل بن سلطان الدويش في إحدى حداويه التي تخصُّ الفرسان مثل التشوليب في لهجتنا:

نركب على اللى جدهن ربدان

تفرق عشيرٍ عن عشير

وكذلك يقول الفارس الحميدي بن سحلي بن سقيان شيخ السقايين في إحدى حداويه:

إن كان جاري صدق شينه بان

ما هو ولد عم قريب

نركب على اللى جدهن ربدان

مطعومهن داف الحليب

وجاء أيضاً في شعر علي بن مصبح بو نعاس الرميثي يمدح فيها الشيخ زايد بن خليفة لأنه أهداه حصاناً من هذه السلالة العريقة فيقول:

هذي عطيتنا من ابن نهيان

جزل العطايا لى شبوره طويله

ياما عطا لمصبحٍ نصب الأذان

يا زين مصراعه وومية شليلة

بقي ربدان ينتج ويهدى منه في عصر الشيخ زايد الأول وإن أصبح من سلالة أخرى بسبب أن أمه الكحيلة

الشيخ زايد بن خليفة آل نهيان

يا زين مصراعه يلي لبس الأعنان

شروات ظبيٍ فاسخٍ من مجيله

منسوب ما بين الكحيلة وربدان

ياخد من العوده بمد ومثيله

وفي هذه الأبيات دليل على أنَّ ربدان بقي ينتج ويهدى منه في عصر الشيخ زايد الأول، وإن أصبح من سلالة أخرى بسبب أنَّ أمه الكحيلة كما جاء في القصيدة.

وفي الختام، نعلم أنَّ سلالة الرّبد سلالة عريقة عُرِفَت بسرعتها وقوتها؛ لهذا كانت مهمة في الحروب القديمة، وقد تملَّكها عدد من شيوخ القبائل العربية، وقد اشتهر بها عدد من الفرسان والأمراء والشيوخ، ومنهم الشيخ زايد الأول، رحمه الله، ولا يزال نسلها موجوداً حتى اليوم.

jamal@jbhsc.ae

رصد الكتاب السنوي لذلك العام كماً هائلاً من الإنجازات التي سبقت الزمن

الإمـارات 1975
تشييد صرح الاتحاد

مدارات ونقوش (خاص)

بعدما سطرنا في ملف العدد السابق صفحات مشرقة من تاريخ التأسيس الأول لدولة الإمارات العربية المتحدة، نتابع في هذا العدد الحديث عن تلك المراحل التاريخية المهمة لهذا البلد الرائد، وذلك من خلال تصفح ما احتواه التقرير السنوي لدولة الإمارات العربية المتحدة لعام 1975، وقد مضى على التأسيس أربع سنوات حفلت بالبناء والترسيخ الكامل لتوطيد أركان الاتحاد العظيم الذي وضحت الرؤية أمامه ليستحوذ على المراكز الأولى على مستوى العالم، متطلعاً إلى الريادة والازدهار، وهذا ما تحقق فعلاً بفضل رفد كل التخطيطات والرؤى بالعزم والإصرار على التنفيذ الصحيح والمتقن لتكون هذه الأرض الطيبة مركزاً عالمياً وأنموذجاً لكل نجاح وريادة وتنمية.

يبدأ الكتاب بعبارة تعطي القارئ فكرة للنهج الذي خطه لدولته الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، ومقدار العبء والمسؤولية التي كانت موضوعة على عاتقه في تلك المرحلة المهمة والمفصلية من تاريخ العالم أجمع، والمنطقة العربية على وجه الخصوص. فمجرد أن تحافظ الدول على توازنها وثباتها وأن تستعصي على الانهيار في تلك المرحلة هو بحد ذاته نجاح يقدر لها، فكيف بدولة تتطلع إلى النهوض والريادة والازدهار! إنها دولة الإمارات العربية المتحدة، التي خرجت من قلب الصحراء لتقبل التحدي، وتعمل بإصرار، وتنطلق دون توقف. فإبان الحرب العالمية الثانية، وخلال السنوات التي أعقبتها في الأربعينيات، أيام كان مجرد الصمود ضد التقهقر يعدُّ فضيلة في العالم العربي، كان زايد بن سلطان آل نهيان يسير بثبات نحو هدف وحدوي عزيز، قيض له أن يحققه في مطلع السبعينيات. فقد كان مجلسه، تحت شجرته المفضلة خارج القلعة القديمة في العين لا يكاد يخلو من زواره الدائمي التردد عليه من بدو أبوظبي أو السعودية أو من قبائل عمان.

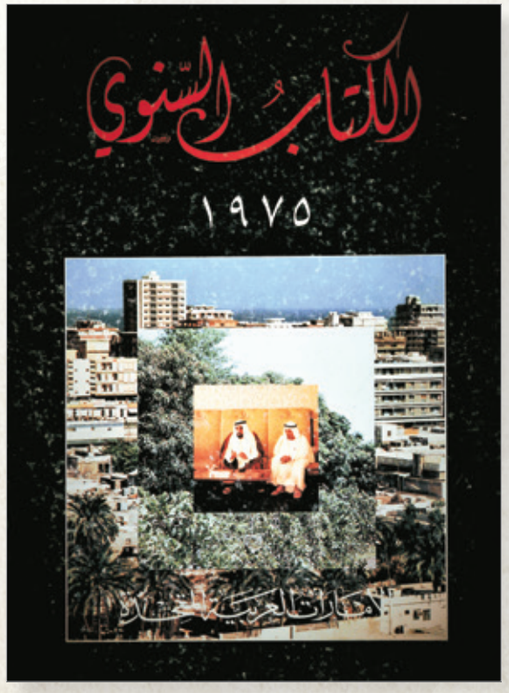

الكتاب السنوي 1975 رصد مراحل البناء الإماراتي

تطويرات متلاحقة

لا شكَّ أنَّ الحديث في الكتاب السنوي لدولة الإمارات العربية المتحدة لعام 1975، يحتاج إلى نظرة متأنية بعض الشيء إلى الماضي القريب نسبياً، وهذا ما برع من خلاله معدو الكتاب في إبرازه في العناوين الأولى، فالمشروعات والمبادرات والتطويرات المتلاحقة بعد تأسيس هذا الصرح المبارك، لا بدَّ من الحديث عن أهميتها والجهود المبذولة في

> سار الشيخ زايد بثبات نحو هدف عزيز أيام كان مجرد الصمود يعدُّ فضيلة في العالم العربي

تحقيقها إلى معرفة ما كانت عليه الأمور قبلها، وبضدها تتميز الأشياء كما هو معلوم. لذا فإننا نجد تلك العناوين البارزة في التمهيد للكتاب السنوي حينذاك: «رجل يحترف صنع التاريخ» التي يبرز فيها ما كان يدور في خلد الشيخ زايد من أفكار وحدوية لتأسيس اتحاد الإمارات، كما يستعرض تحت عنوان «خطوة بارزة على الطريق» ما تمَّ الشروع فيه فعلاً من رحلات واجتماعات دؤوبة حرص عليها الشيخ زايد لنقل فكرة تأسيس الاتحاد من الأحلام والأفكار إلى الواقع المؤيد بالعمل والإصرار على كافة المستويات: الداخلية والخارجية. أما عنوان «وبدأت المسيرة الاتحادية» فإنه يتناول الحديث عن المسيرة المباركة التي بدأها الشيخان الجليلان: زايد بن سلطان آل نهيان، وراشد بن سعيد آل مكتوم، والإعلان التساعي وتشكيل مجلسه الأعلى. «الإمارات العربية المتحدة ترى النور» الذي يلقي الضوء على تأسيس دولة الإمارات العربية المتحدة «دولة مستقلة ذات سيادة، جزءاً من الوطن العربي الكبير»، وما تبع ذلك من صياغة الدستور المؤقت، والنظام السياسي الذي ينظم مسؤوليات أجهزة الدولة الفتية.

الخير يعم الجميع

لعل ما يميز التقارير السنوية للدول أنها تعد أرشيفاً تاريخياً لإنجازاتها، وللخطط التي عملت على تنفيذها وإن لم ترَ النور، ففي هذا الكتاب، تبرز جهود الشيخ زايد، في توطيد أواصر الوحدة بين أبناء الخليج الواحد، وإن لم تجتمع في وحدة دولة الإمارات، ومما يذكر في هذا الشأن الاتفاقية المبدئية التي وقعت عام 1975م، بين دولة الإمارات والكويت وقطر والبحرين، في سبيل إصدار عملة خليجية موحدة لا ترتبط بالدولار ولا بالإسترليني. ومما يدعو للفخر والاعتزاز أن المبادرات والرؤى التي تطرح على طاولة المباحثات في هذا الوقت من القرن الحادي والعشرين، كانت تراود ذلك القائد العظيم قبل عقود طويلة من الزمن، بل وإبان تأسيس الدولة مباشرة.

وعلى الصعيد العربي، حرص زايد على أن تبذل دولة الإمارات كلَّ جهد ممكن لتوفير مختلف أسباب الدعم المادي والمعنوي للأشقاء العرب في جميع المجالات: المجهود الحربي، والتصنيع والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ومختلف الميادين الأخرى. وفي سبيل ضمان النجاح لمشاريع التنمية العربية في كل شكل عام، لا سيما تلك التي تغذيها أموال الاتحاد، قدمت

الشيخ زايد والشيخ راشد في حديث ثنائي

دولة الإمارات بتوجيه من زايد مذكرة إلى المجلس الاقتصادي العربي في مطلع 1975 طالبت فيها بوضع استراتيجية عربية للاستثمارات وإنشاء هيئة في نطاق الجامعة العربية للإشراف على هذه الاستثمارات. وقد حرصت الدولة بتوجيه من الشيخ زايد على الإسهام في مختلف النشاطات العربية التي تستهدف شد أزر المقاتل العربي ضد أعداء الأمة.

- فقد وقع سموه في 11 مايو 1975 الاتفاقية الخاصة بإنشاء الهيئة العربية للإنتاج الحربي.
- وقد توجت هذه الجهود الرامية إلى مساعدة الأشقاء العربي بزيادة مخصصات صندوق أبوظبي للتنمية بمقدار 430 مليون درهم سنة 1974، بدلاً من 70 مليوناً كما كان مقرراً أصلاً في تلك السنة.
- وفي مايو 1975 وافق مجلس إدارة الصندوق على منح 10 دول عربية وإسلامية قروضاً استثمارية مقدارها 697 مليون درهم.

بذلت الإمارات كل جهد لتوفير الدعم المادي والمعنوي للأشقاء العرب في جميع المجالات

صورة تاريخية من جلسات حكام الإمارات خلال المباحثات الاتحادية

- وكان بين القروض التي قدمها الصندوق في الفترة الأخيرة ذلك الذي تمَّ الاتفاق عليه في أكتوبر 1975 مع مصر، وهو قرض طويل الأجل سهل الشروط، قيمته 200 مليون دولار.
- وعلى صعيد الأوبيك، لعب زايد دوراً أساسياً في التوجيه السليم للسياسة البترولية التي طغت على معظم الأحداث العالمية الأخرى منذ حرب رمضان، إذ أعلن لمجلة «كابيتال» الاقتصادية الألمانية أنه لا بدَّ من ربط سعر البترول بأسعار السلع الأخرى.
- وفي مارس بعدما حضر مؤتمر الدول المصدرة للبترول (أوبيك) قال الشيخ زايد للصحفي الأمريكي: إنَّ شركات النفط الأجنبية تحاول شق جبهة الدول المصدرة للنفط كما أنَّ الولايات المتحدة تحاول إبعاد سوريا عن مصر لخرق جبهة المواجهة.

ومعروف عن زايد أنه لا يلقي القول جزافاً، ولا يكتفي بالقول دون العمل؛ فقد تحدث عن مؤامرات شركات البترول، وطبق مبدأ المشاركة الذي حفظ حق شعبه في نفطه، وهذه الثروة في نظره هي للشعب، ويجب أن يسخر لخدمة أبناء الدولة والأمة العربية والمسلمين في كل مكان، كل قطرة بترول يجب أن تمسح دمعة، وبقدر ما يضخ منه في كل اتجاه لا بد أن يضخ في شرايين هذه الأمة دماً وقوة جديدين.

اللقاء التاريخي بين الشيخ زايد والملك فيصل والذي انتهى بتوقيع اتفاق جدة

السياسة الخارجية

تحت هذا العنوان، يسلط الكتاب السنوي للعام 1975م الضوء على أبرز ملامح السياسة الخارجية التي نهجتها دولة الإمارات خلال العام، والتي كانت واضحة المعالم، راسخة الأركان، مرهونة بخدمة القضايا العربية والإسلامية. لقد كان الشيخ زايد يرى يقيناً أنَّ من شأن تعميق جذور التعاون العربي الأوروبي أن يعود بالخير على الموقف العربي والقضايا العربية، ويأتي اهتمامه هذا منسجماً مع السياسة التي أخذت جامعة الدول العربية تركز عليها حينذاك، والتي تستهدف الاستمرار في فتح أبواب جديدة للتعاون الاقتصادي والسياسي والعلمي والتكنولوجي بين الدول الأعضاء في الجامعة العربية ودول السوق المشتركة.

يؤرخ الكتاب التطور النوعي الحاصل في دولة الاتحاد في سنواتها الأولى

ومما تمَّ إنجازه في هذا الصدد:

- عقد مؤتمر للحوار العربي الأوروبي في أبوظبي في نوفمبر 1975 بتوجيه من الشيخ زايد.
- لقاؤه الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان، وبحث السبل المؤدية إلى تدعيم أواصر التعاون في مختلف المجالات بين العرب وفرنسا، وكذلك بينهم وبين السوق المشتركة، بتأييد من فرنسا ودعمها، التي تتمتَّع بمركز طليعي مرموق في السوق.
- في يناير 1975، زار الشيخ زايد الهند، وعقد محادثات مع رئيسة وزرائها أنديرا غاندي، تناولت القضايا المشتركة.
- في فبراير 1975 زار الشيخ زايد باكستان وأجرى محادثات مع رئيس وزرائها ذو الفقار علي بوتو.
- في مارس 1975، وهو اليوم التالي لعودته من الجزائر، حيث اشترك في مؤتمر الدول المصدرة للبترول (أوبيك)، أشاد الشيخ زايد بالنتائج المهمة التي أسفر عنها مؤتمر قمة الدول المصدرة للبترول.
- 24 فبراير 1975، تقبل الشيخ زايد أوراق اعتماد أول سفير للمغرب لدى دولة الإمارات العربية المتحدة.

واظب الشيخ زايد على التركيز على الموضوعات ذات

الشيخ زايد خلال استقباله ياسر عرفات

الشيخ زايد مع الملك خالد بن عبد العزيز

الاتصال المؤثر بالقضايا العربية، أثناء المحادثات التي يجريها مع من يستقبلهم في أبوظبي من الرؤساء والمسؤولين العرب والأجانب. ففي الأشهر الستة الأولى من سنة 1975، استقبل الشيخ زايد في أبوظبي عدداً من الشخصيات العربية والعالمية، المرموقة على النحو التالي:

- في 25 يناير، وصل إلى أبوظبي رئيس وزراء ماليزيا وأجرى محادثات أسفرت عن توقيع اتفاقيتين للتعاون الاقتصادي والثقافي بين البلدين.
- في 11 مارس استقبل الشيخ زايد الأمين العام لجامعة الدول العربية السيد محمود رياض.
- في 29 إبريل، وصل إلى أبوظبي رئيس جمهورية مالي، في زيارة رسمية استغرقت أربعة أيام.
- في 3 مايو، استقبل أمير الكويت الشيخ صباح السالم الصباح وفداً من الإمارات.
- في 19 مايو، وصل إلى أبوظبي الشيخ جابر الأحمد الصباح

لعب زايد دوراً أساسياً في التوجيه السليم للسياسة البترولية

ولي عهد الكويت في زيارة رسمية.

- في 24 مايو، وصل إلى أبوظبي الرئيس القبرصي الأسقف مكاريوس في زيارة استغرقت يومين.
- في 20 يونيو، بدأ الملك حسين ملك الأردن زيارة رسمية لدولة الإمارات استغرقت يومين.
- في 28 يونيو، وصل إلى دولة الإمارات إبراهيم الحمدي، رئيس مجلس القيادة والقائد العام للقوات المسلحة في الجمهورية اليمنية، برفقة وفد كبير.

الشيخ زايد في ضيافة الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان

بترول الإمارات... كل قطرة تمسح دمعة

لم تكن الثروة في نظر قيادة دولة الإمارات العربية المتحدة يوماً إلا مصدر عطاء للعام والخاص، للقريب والبعيد، من هنا فقد حبا الله هذا البلد الطيب ما حباه إياه من عطايا بسبب هذه النظرة الإنسانية والأخلاقية إلى الثروة، قال تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم).

يوثق الكتاب السنوي للدولة عن العام 1975 بالأرقام إنتاج النفط في الدولة، فقد أنتجت شركات البترول العاملة في أبوظبي 217.809.051 برميلاً خلال الأشهر الستة الأولى من سنة 1975، في مقابل: 271.754.604 براميل أنتجتها في الفترة ذاتها من العام الذي سبقه. وقد نتجت نسبة الخفض في الإنتاج، وهي 19.9 في المئة عن خفض إنتاج شركة نفط أبوظبي (اليابان) بنسبة 23.03 في المئة، وشركة توتال أبو البكوش بنسبة 14.82 في المئة.

أما في دبي، فقد اكتشف النفط في عام 1966

ألسنة اللهب ترتفع من إحدى آبار البترول داخل مياه الخليج العربي

في حقل «فاتح» الواقع في مياه الخليج العربي على بعد 58 ميلاً من بر دبي، وصدرت أول شحنة منه

احتلت الإمارات المرتبة الثامنة في إنتاج البترول عالمياً سنة 1974 والرابعة من حيث الاحتياطي المؤكد

سنة 1969. وفي 1870 اكتشفت شركة نفط دبي حقلاً بحرياً إلى الجنوب الغربي من حقل «فاتح» بوشر باستثماره سنة 1972.

وفي 1973 اكتشفت الشركة حقلاً بحرياً ثالثاً أطلق عليه اسم «حقل راشد». وكانت صادرات دبي من البترول تبلغ ربع مليون برميل يومياً سنة 1974، ويتوقَّع أن يرتفع معدل الإنتاج اليومي إلى نصف مليون برميل هذا العام (1975).

وفي الشارقة، بلغ معدل الإنتاج اليومي للآبار الثلاث العاملة 55 ألف برميل سنة 1974، ويتوقع أن يرتفع هذا الإنتاج ليبلغ 200 ألف خلال 1975.

وفي ذلك العام، وبحسب الكتاب السنوي، فقد احتلت دولة الإمارات العربية المتحدة المرتبة الثامنة في إنتاج البترول في العالم سنة 1974، بعد السعودية وإيران وفنزويلا والكويت ونيجيريا وليبيا والعراق، فأنتجت 635 مليون برميل. لكنها تتقاسم مع ليبيا المرتبة الرابعة من حيث الاحتياطي المؤكد وجوده والمقدر كمياته في كل منهما بـ 25.5 مليار برميل. وذلك بعد السعودية وإيران والعراق، على التوالي.

التصدير

تصدِّر دولة الإمارات نفطها إلى كل من اليابان وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية وهولندا وألمانيا وباكستان وبنغلادش وسويسرا وكندا والبرتغال وبلجيكا وعدن والهند والسنغال وسنغافورة وإيطاليا ومدغشقر والنرويج والبرازيل وكوريا وبولندا وأستراليا والبهاما والدنمارك، وغيرها.

وفي هذا الصدر نجد الكتاب السنوي للعام 1975 يؤرخ للتطور النوعي الحاصل في دولة الإمارات والذي يعدُّ إحدى النتائج المباركة لدولة الاتحاد في سنواتها الأولى. فقد تطور معدل التصدير اليومي من 14.828 برميلاً عام 1962 إلى 1.221.638 برميلاً في النصف الأول من 1975. وفي المقابل تطور عدد ناقلات البترول من 22 عام 1962 إلى 937 عام 1974.

كما تطور معدل حمولتها من 32.300.18 طناً طولياً إلى 73.216.51 طناً طولياً عام 1973، وبلغ عدد ناقلات النفط التي حملت خلال الأشهر الستة الأولى من عام 1975 أكثر من 400 ناقلة.

وترتب على ذلك تطورت عائدات الدولة من النفط الخام من 705.656 جنيهاً إسترلينياً عام 1962 إلى 375.625.678 جنيهاً عام 1973.

أما دبي فقد تطورت صادراتها النفطية من 3.561.94 برميلاً عام 1969، إلى 79.92.000 برميل عام 1973.

اتفاقية المشاركة

جاءت الاتفاقية مزيجاً من اتفاقيتي السعودية والكويت بغية تحقيق أكبر فائدة ممكنة. ومن أبرز التطورات البترولية الأخيرة اتفاقية المشاركة التي وقعت في سبتمبر المحدودة العاملة في المناطق البرية في أبوظبي.

ولقد كانت الاتفاقية بالفعل إنجازاً ضخماً تحقّقه دولة الإمارات في مجال السيطرة الوطنية على ثروتها القومية، وفيما يلي أهم بنود هذه الاتفاقية:

1. تمتلك الحكومة 60 % من الشركات العاملة في أبوظبي والممثلة في شركة نفط أبوظبي المحدودة. ومعنى ذلك أن نسبة 60% من موجودات هذه الشركة في البلاد باتت ملكاً للدولة وأنه أصبح للدولة 60% من الأصوات

خامات المعادن المكتشفة تمَّ استغلالها على نطاق تجاري يخدم الصناعة

في مجلس الإدارة.

2. تدفع الدولة تعويضاً مقداره 40 مليون دولار، إضافة إلى التعويض الذي دفعته عن الـ25% في المرة السابقة.
3. تقوم الشركة بإعادة شراء 40% من حصة أبوظبي في بترول المشاركة والبالغة نحو 740 ألف برميل يومياً، أي إنها تعيد شراء 300 ألف برميل يومياً من بترول مربان بمبلغ 11.90 دولاراً للبرميل الواحد. ويعادل ذلك 94.86% من السعر المعلن. أما الكمية الباقية فستتولى شركة بترول أبوظبي الوطنية تسويقها في السوق الحرة.
4. يبدأ سريان هذه الاتفاقية بأثر رجعي اعتباراً من اليوم الأول من يناير 1974، ويعني ذلك أنَّ على شركة نفط أبوظبي المحدودة أن تدفع للحكومة ما يربو على 500 مليون دولار ثمناً لما اشترته من بترول أبوظبي من 1-1-1974 حتى 30-9-1974.
5. وقد اتفق على إجراء مباحثات أخرى للاتفاق على أسعار إعادة شراء الشركة للكمية التي اتفق عليها ومقدارها: 300 ألف برميل يومياً.

معادن الأرض تساند بترولها

توافرت لدى شركات البترول المنقبة عن النفط إمارات الدولة معلومات تشير إلى وجود العديد من خامات المعادن التي يمكن استغلالها على نطاق تجاري والإفادة منها في صورة مباشرة، أو في استخدامها كمواد مساعدة في إقامة عدد من الصناعات المختلفة.

في أبوظبي:

وجدت بعض خامات الحديد مثل معدن الهيمانين في جزر أبوظبي. وتتوافر معادن النيكل والكروم في صخور الالترابيزيك فوق القاعدية (الموجودة بكثرة في أبوظبي). أما الباريث فيوجد بكميات كبيرة في جبل الطنة، وصير بني ياس، وجزيرة دلما، وجبل صفين. وفيما يتعلق بمعدن الأسبستوس فإنه يتوافر في كميات كبيرة ونوعيات جديدة في جبل الطنة. ووجد النحاس في جبل الطنة وجزيرة زد كوه، ولكن بكميات قليلة. فضلاً عن اكتشاف معدني البريل والفوريت بكميات ضئيلة في جزيرة دلما. كما وجد الجبس في مناطق متعددة وبكميات اقتصادية. ويتوافر الملح الصخري بكميات كبيرة في أراضي أبوظبي، ويدخل في الصناعة الكيميائية لتحضير عنصر الصوديوم ومركباته. وعثر على المارل الحجر الجيري بكميات كبيرة. كما أشار المسح المعدني إلى وجود الألمنيوم والرصاص والزنك، غير أن كمياتها لم تحدد بعد.

الإمارات الأخرى:

يستفاد من المسح المعدني الذي أجرته دول الإمارات بالتعاون مع خبراء منظمة الأمم المتحدة ومنظمة التنمية الصناعية في الجامعة العربية أنَّ معادن كثيرة ذات أهمية تجارية واقتصادية وجدت في الإمارات، ولم تُعْلَنْ بعد النتائج النهائية لهذا المسح. أما المواد الطبيعية التي يجري استثمارها حالياً فهي:

في عجمان:

الرخام الذي يتوافر بكميات تجارية وألوان مختلفة وألوان بالغة الجودة، ثمَّ أحجار البناء والرمل الذي يدخل في صناعة الزجاج والمسلح. كما عثر في نهاية عام 1975 على غاز الكبريت في منطقة وادي حام وأجريت دراسة لمعرفة ما إذا كان يصلح للاستغلال التجاري.

في رأس الخيمة:

النحاس والحديد وخام الكبريت.

في الفجيرة:

النحاس والحديد والنيكل.

في الشارقة:

الكروم والحديد الصخري والحديد والحجر الجيري...

أدارت شؤون البلاد بكل اقتدار وأسهمت في ازدهارها خلال فترة قياسية

وزارات الاتحاد

إنجازات مشرِّفة في خدمة الوطن والمواطن

يوثق الكتاب السنوي للعام 1975 ما تمَّ إنجازه في ظل اتحاد دولة الإمارات العربية المتحدة على مستوى الوزارات بشكل عام، وقد سبق وتناولنا ما يتعلق بالسياسة الخارجية الرائدة التي تضطلع بها وزارة الخارجية. إلا أنَّ السياسة الرشيدة لدولة الإمارات، ومنذ تأسيسها، عكفت على العمل بخط متوازن بين السياسات الخارجية والداخلية. فمن جهة كانت رائدة المنطقة في سياساتها الخارجية التي وضعت القضايا العربية والإسلامية على رأس أولوياتها، وكذلك فإنها وضعت مواطنيها وسكانها على قائمة الأولويات الداخلية، لتكون الإمارات رائدة الخدمات التي عزَّ لها نظير في العالم. وهذا ما أكده هذا التقرير على مستوى الوزارات والهيئات الاتحادية التي تعنى بتنظيم وإدارة شؤون البلاد.

فعلى مستوى وزارة الاقتصاد، أوضح التقرير السنوي للعام 1975 ما تمَّ تحقيقه من إنجازات في ذلك العام، ومن أبرز تلك الإنجازات:

1. تنويع النشاط الاقتصادي وتشجيع القطاع الخاص على المساهمة في هذا المجال.
2. توفير السلع والمواد الغذائية المناسبة، ومكافحة الغلاء المتزايد.

غابات خضراء في إحدى جزر القرم التابعة لأبوظبي

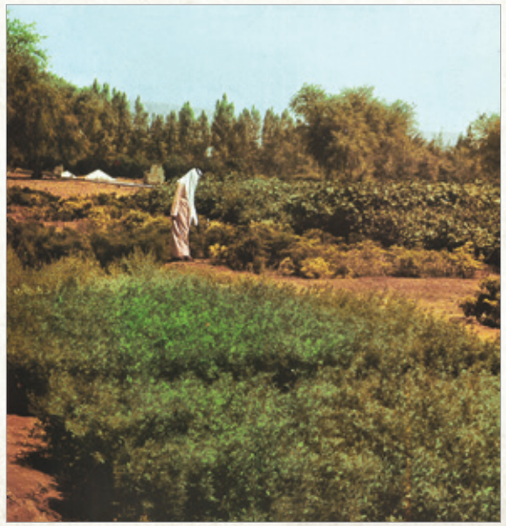

خيرات الاتحاد تعم البلاد

3. تحقيق الوحدة الاقتصادية والجمركية بين إمارات الاتحاد.
4. إصدار القوانين والأنظمة المتعلقة بالنشاط الاقتصادي والتجاري.
5. متابعة وتعزيز العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الخارج.
6. استكمال الدراسات والتخطيط، ووضع البرامج ودراسة المشاريع المطروحة اللازمة لتحقيق التنمية الاقتصادية.
7. دراسة وافية عن التقدم المحرز في إخراج السوق الخليجية المشتركة إلى حيز الوجود.

التخطيط دعامة التقدم

تتلخص الخصائص العامة للنمو في دولة الإمارات في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية على أساس التوازن بين الإمارة العضو في الاتحاد والدولة الاتحادية. ويمكن بموجب هذه الخصائص التي أقرها مجلس الوزراء

وضعت الإمارات مواطنيها على قائمة الأولويات لتكون رائدة في توفير الخدمات لهم

الشيخ زايد يفتتح معرضاً للأشغال اليدوية في إحدى مدارس أبوظبي

في الدولة سنة 1974 تلخيص منجزات الوزارة لسنة 1975 كما يلي:

1. تأسيس مجلس التخطيط القومي.
2. إعداد البرنامج الاستثماري لسنة 1975.
3. التحضير لإجراء التعداد العام للسكان.

منهاج التطوير لسنة 1975

في نطاق سياسة الإنماء والتطوير وتنويع مصادر الدخل، قامت دائرة التخطيط في أبوظبي بإعداد منهاج للتطوير لسنة 1975. وقد روعيت في جميع المخصصات الحاجات المتوقعة لفترة مقبلة تمتد إلى سنة 1980 وإلى ما بعدها أحياناً.

التعليم... من المهد إلى اللحد

انطلاقاً مما أعلن الشيخ زايد مراراً وتكراراً من أنَّ العلمَ حقٌّ لكل مواطن فوق هذه الأرض وأنَّ الدولة مسؤولة عن تعليم أبنائها وتوفير الظروف الملائمة لذلك، لم تألُ وزارة التربية والتعليم جهداً في توفير فرص التعليم لأكبر عدد ممكن من أبناء الدولة نشراً للوعي ومحاربة للجهل وخدمة للناس في أمور دينهم ودنياهم. وقد رفعت وزارة التربية والتعليم شعار «نحن معك من الحضانة إلى الدكتوراه» بغية بث روح الإصرار والعزيمة في نفوس الطلاب والأهل لمتابعة واستمرارية الدراسة.

ونتيجة للجهود المتواصلة التي تبذلها الوزارة تطور عدد الطلبة الكلي من 44.272 في سنة 1973-1974 إلى 52.321 في 1974-1975. أي بنسبة زيادة قدرها 15%. كذلك ازداد الدارسون في فصول محو الأمية والدراسات المسائية من 5.875 دارساً ودارسة في 1973-1974، إلى 7.555 في 1974-1975، أي بنسبة زيادة 29%. وازداد عدد المدرسين والمدرسات من 2957 إلى 3828، أي بزيادة قدرها 29.4%. وازداد عدد المدارس بجميع أنواعها من 148 مدرسة إلى 167 مدرسة، أي بزيادة قدرها 12.8%.

ولقد قامت الوزارة بوضع الخطة الخمسية لاحتياجاتها من الأبنية المدرسية للسنوات الدراسية القادمة، استناداً إلى احتساب توقعات أعداد الطلبة لتلك السنوات. وفي المقابل تطورت ميزانية وزارة التربية والتعليم من 186.935.906 دراهم في عام 1974 إلى 346.558.496 درهماً لسنة 1975. وتدل هذه الميزانية على مدى ضخامة الخدمات التي تقدمها الدولة لأبنائها الطلبة والتي تصل إلى حد إعطائهم رواتب شهرية، تبدأ بـ50 درهماً لطالب الصف الأول الابتدائي وتزداد بمقدار 10 دراهم عن كل سنة دراسية متقدمة.

الصحة... درهم وقاية

تشرف وزارة الصحة في دولة الإمارات على جميع الشؤون والمؤسسات ذات الصلة بالصحة العامة، وتوفر للمواطنين الرعاية الصحية بما في ذلك تدابير الوقاية والعلاج ومكافحة الأوبئة والأمراض، وهي تقدم جميع الخدمات العلاجية للمواطنين مجاناً، ولا يقتصر تأمين هذه الخدمات الصحية على مستشفيات الوزارة داخل البلاد، بل يتعداها إلى الخارج. وقد دأبت الوزارة على اتخاذ الترتيبات اللازمة بالاتفاق مع وزارة الخارجية وسفارات الدولة في الخارج لتيسير المعالجة الطبية في الخارج للمرضى من المواطنين الذين يستعصي شفاؤهم محلياً. ويتم سفر هؤلاء المرضى إلى الخارج بعد عرضهم على اللجان الطبية المختصة وموافقتها.

وفي مجال الطب الوقائي يوضح الكتاب السنوي ما تمَّ الاهتمام به في تلك الفترة من الاهتمام بالصحة المدرسية ومكافحة الملاريا والتثقيف الصحي والمراقبة الصحية، التي

التنمية الاقتصادية والاجتماعية تحققت على أساس التوازن بين الإمارة العضو في الاتحاد والدولة الاتحادية

إحدى الممرضات تفحص طفلاً ضمن برامج الرعاية الصحية

غرفة العمليات في مستشفى أبوظبي وهي مجهزة بأحدث التجهيزات الصحية

تشمل الإشراف على الأغذية التي تقدمها المطاعم ومحلات البقالة والمخابز ومطابخ المستشفيات، كما يتمُّ الإشراف على سلامة صرف المجاري والفضلات البشرية والتخلص من المواد التالفة والمحافظة على النظافة والصحة العامة بين المواطنين، وتتم عمليات رش أماكن توالد البعوض بالمبيدات الحشرية. وقد وضعت الوزارة مشروعي مزاولة مهنة الطب وتنظيم قيد المواليد والوفيات اللذين وافق عليهما المجلس الوطني الاتحادي في مايو 1975.

المشاريع الصحية لعام 1975

أبوظبي

- مستشفى عام سعة 500 سرير.
- مستشفى الشاطئ للولادة.
- عيادات الخالدية والصافية ومدينة زايد.

مدينة العين

- مستشفى عام سعة 250 سريراً.
- مجمع العيادات والتوسعات في مستشفى العين.
- عيادات الصحة المدرسية، والأمراض الجلدية والتناسلية، والطبية العامة.

المناطق النائية

- مستشفى الرماح سعة 25 سريراً.
- مستشفى بدع زايد 25 سريراً.
- مستشفى الساد للأمراض الصدرية سعة 50 سريراً.
- عيادات السلع والسمحة، وبدع المطاوعة، والفيا.

دبي

تمَّ افتتاح قسم الحوادث، وتجهيز اللجنة الطبية العامة وعيادة الأمراض النفسية وبنك الدم.
وبين المنشآت التي كان يجري دراستها في العام 1975:

- توسيع مستشفى الكويت، بإقامة مؤلف من طابقين، يخدم 200-300 مريض.
- إقامة مستشفى للأمراض العقلية والنفسية.
- ثلاث عيادات في الجميرا والخوانيج وهور العنز.

الشارقة

- توسيع مستشفى الولادة، وإنشاء سكن للممرضات.
- التخطيط لإنشاء عيادة خارجية وسكن للعاملين في الخان.
- استكمال مركز صحي في الذيد، مع سكن للعاملين فيه.

عجمان

- في عجمان يجري إنشاء مستشفى يضم نحو 60 سريراً مع سكن للممرضات.

أم القيوين

في أم القيوين يجري تنفيذ المشاريع التالية:

- إنشاء عيادة خارجية مع سكن للعاملين وجناح داخلي.
- إنشاء مبنى للعمليات ومختبر للتغذية.
- إنشاء مركز للعلاج الطبيعية وعيادة خارجية في فلج المعلا، مع سكن للعاملين فيها.

رأس الخيمة

- أتمت الدائرة إنشاء قسم الملاريا.
- التخطيط لإنشاء عيادة خارجية للأطباء العموميين.
- إنشاء عيادة خارجية للأخصائيين، قسم الأشعة.
- بناء مركز صحي في شعم مع سكن للعاملين.
- بناء عيادات خارجية مع سكن للعاملين في كل من: خت، والجزيرة ورمس.
- بناء مركز طبي في مسافي مع سكن للعاملين.

الساحل الشرقي

- بناء مركز صحي للفجيرة مع سكن للعاملين، وعيادة خارجية في سكمكم مع سكن للعاملين.

أشجار النخيل المثمرة في مدينة العين

محطة التجارب الزراعية في رأس الخيمة

الزراعة والثروة السمكية

تقوم وزارة الزراعة والثروة السمكية في الدولة بنشاطات واسعة على الصعيدين الداخلي والخارجي، وهي تمد الصيادين بالقروض وتساعد المزارعين ومالكي الحيوانات وتوفر لهم الإرشادات اللازمة لتنمية الثروة الزراعية وتطوير الإنتاج.

كما تقوم بحفر الآبار وإصلاح الأفلاج. وقد أعد قسم المياه الريفية والتربة دراسات عن المياه الجوفية في الدولة، ودراسة عن التربة فيها. وكانت الوزارة قد استقدمت بعثة من منظمة الأغذية والزراعة الدولية قامت بدراسة ظروف الزراعة والثروة السمكية في البلاد، ووضعت تقريراً في هذا الشأن، كما استقدمت بعثة من المنظمة العربية للتنمية الزراعية بهدف دراسة إمكانات استغلال الثروة السمكية. وقد أعدت البعثة مشروعاً لإقامة مصنع لزيت السمك ومسحوقه.

أسماك الخليج الجميلة في حديقة مدينة العين

أهم الاتفاقيات والمعاهدات العربية والدولية التي تمت:

- اتفاقية التعاون الفني والزراعي مع مصر.
- المعاهدة الدولية لصيد الحيوانات والنباتات البرية المهددة بالاندثار والاتجار بها.
- اتفاقية التعاون الفني والزراعي مع الأردن.
- اتفاقية منع تلوث البحار.
- اتفاقية الانضمام إلى المركز العربي لدراسات الأراضي الجافة والقاحلة.
- اتفاقية المعهد العربي للغابات.
- اتفاقية المنظمة العربية للتنمية الزراعية والاشتراك فيها.
- اتفاقية منظمة الأغذية والزراعة الدولية والاشتراك فيها.

علمت الإمارات علم اليقين أنَّ التنوع الاقتصادي حجــر أســاس فــي التطــور والنمــو والازدهــار

- اتفاقية المعهد الإقليمي للبحوث والإحصاء في بغداد والاشتراك فيه.
- اتفاقية مكافحة الجراد مع منظمة الأغذية والزراعة الدولية.

الأشغال العامة

احتلت وزارة الأشغال العامة في دولة الإمارات دوراً رئيساً في إعمار البلاد وتطويرها. ومن الجدير بالملاحظة أنَّ أعمال وزارة الأشغال العامة تشمل جميع الإنشاءات التي تقيمها الوزارات الأخرى في البلاد، كالمدارس والمستشفيات والمستوصفات وأعمال التشجير والمحطات المائية والكهربائية وتشييد المساجد وشق الطرق وتعبيدها وبناء المطارات والموانئ والمساكن الشعبية ومشاريع المجاري وغيرها من المشاريع التي تميز الملامح الجديدة في بلاد تحقق فيها إرادة النهضة دفقة مستمرة من التقدم والازدهار.

- وفيما يلي صورة عن سير العمل في الوزارة خلال النصف الأول من عام 1975:

تشييد سبعة مساجد جديدة، وتوسعة مسجدين، وتشييد مدرسة جديدة في المطويين. وبناء مدرسة جديدة في الزيدي، مع منازل للمدرسين، وتشييد عيادتين؛ واحدة خارجية في المطويين وأخرى في الغبل. وإضافة إلى ذلك، أمر الشيخ زايد بتطوير فرضة خورفكان القديمة وبإنشاء ميناء في شعم وبإنشاء سد لخزن المياه. وهناك مشاريع أخرى أمر بتنفيذها، عدا عن المساكن الشعبية التي تقوم الوزارة بتشييدها في كافة إمارات الدولة.

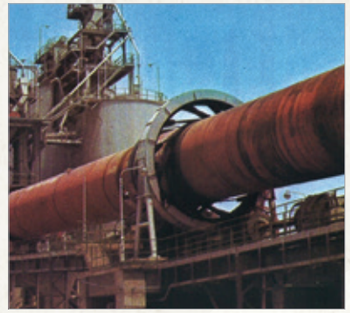
مصنع الأسمنت الجديد في رأس الخيمة

ميناء زايد في أبوظبي

حركة الإعمار في أبوظبي

طريق الشارقة رأس الخيمة

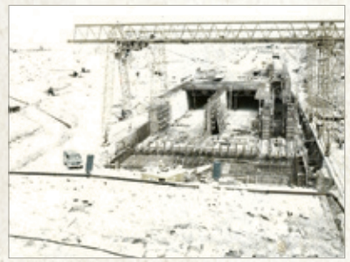

نفق دبي وجسرها اللذان يربطان طرفي المدينة

«نحن معك من الحضانة إلى الدكتوراه» شعار وزارة التربية والتعليم

أعمدة الإنارة تنتشر في عموم شوارع الاتحاد

صورة جوية للمساكن الشعبية الموزعة على المواطنين

جسر المقطع على طريق أبوظبي الدولي

أول طائرة تنطلق من مطار رأس الخيمة الدولي

المواصلات
اختزال المسافات وتقريب البعيد

خطت دولة الإمارات العربية المتحدة خطوات واسعة في ميدان المواصلات البرية والبحرية والجوية والسلكية واللاسلكية والبريدية. وهي تتصل بالعالم العربي وسائر دول العالم بشبكات من الطرق المعبدة، وبمطارات دولية وموانئ آخذة في الاتساع. كما تتصل بالخارج لاسلكياً عبر الأقمار الاصطناعية. وتتمتع كل إمارة بخدمات واسعة في هذا المجال، يفصل الكتاب السنوي كل ذلك على حدة بحسب إمارات الدولة كل على حدة.

وزارة الشؤون الاجتماعية
تراحم وتكافل

يرى المواطنون أنَّ وزارة الشؤون الاجتماعية ألصق وزارات الخدمات بهم، وأكثرها اهتماماً بأسرهم وتغلغلاً في قلب مشكلاتهم، لأنها تأخذ بيد مختلف الفئات المحتاجة إلى خدماتها. وتنفذ الوزارة مهامها عن طريق تطبيق قوانين الضمان الاجتماعي ورعاية الطفولة والشيخوخة، بواسطة المراكز الاجتماعية المنتشرة في المدن والمناطق النائية في البوادي. وقد عكفت وزارة الشؤون الاجتماعية في دولة الإمارات على تنمية نشاطاتها وتوسيع خدماتها، فحقَّقت في

دأبت وزارة الصحة على تيسير العلاج في الخارج للمرضى المواطنين الذين يستعصي شفاؤهم محلياً

العام 1975 منجزات مرموقة.

وعلى هذا الأساس تركزت اهتمامات الوزارة على المساعدات الاجتماعية في البدء فشملت فئات الأرامل والمطلقات والمهجورات والعوانس، ومجهولي النسب، والعاجزين أو ذوي العاهات، والمسنين.

وقد اشتركت الوزارة في مؤتمر ومعرض القاهرة الدولي السابع للكتاب يناير 1975، والمؤتمر الثاني لوزراء الشؤون الاجتماعية العرب في الخرطوم مارس 1975، ومؤتمر التنمية الشاملة للمجتمعات الصحراوية مارس 1975. كما زار وفد من الوزراء دولة الكويت للاطلاع على نظام الجمعيات التعاونية فيها.

الشباب... دعامة المجتمع

كان حرص دولة الإمارات على تشكيل وزارة الشباب، تهيئ لهم الجو المناسب لمزاولة هواياتهم وتنمية قدراتهم، وتعمل على رفع مستواهم الرياضي والاجتماعي والثقافي، وتعدهم للاشتراك في المسابقات والدورات العربية والدولية. وحيث إنَّ دولة الإمارات هي الآن في مرحلة النمو، التي تمس الحاجة فيها إلى القيادات الشابة الواعية، فقد عمدت الدولة إلى سد هذه الحاجة عن طريق وزارة الشباب والرياضة، التي حققت منذ تشكيلها في ديسمبر عام 1971 الكثير من أهدافها، واستطاعت أن تثبت وجودها الفعلي على المستويين المحلي

استعراض طلبة المدارس في احتفالات اليوم الوطني

الشيخ زايد يفتتح أحد مشاريع المساكن الشعبية

والخارجي. ومن إنجازاتها:

- إنشاء 27 نادياً رياضياً في المناطق الشمالية.
- أصدرت الوزارة لائحتين لتنظيم سير العمل في مجالات رعاية الشباب.
- أشرفت الوزارة على استضافة بعض الفرق الرياضية التي زارت دولة الإمارات.
- قامت الوزارة بتشكيل اتحاد رياضي عام للألعاب الرياضية على اختلافها، سيكون نواة لتشكيل اللجنة الأولمبية.
- تمَّ إصدار لائحة بتنظيم إحضار المدربين المؤهلين لجميع الألعاب الرياضية.
- قامت الوزارة بتنظيم ندوات ومحاضرات اشترك فيها كبار المسؤولين في وزارة الشباب والرياضة وبعض الشخصيات المرموقة في الدولة.
- أعادت تنظيم برنامج الشباب والرياضة الذي يقدمه تلفزيون دولة الإمارات العربية المتحدة من دبي.
- تعاونت الوزارة مع جمعية إعداد القادة الرياضيين في عقد دورات تدريبية ودراسية القادة الشباب في النوادي والجمعيات، كما تعاونت مع اتحاد كرة

احتلت وزارة الأشغال دوراً رئيساً في إعمار البلاد وشملت أعمالها إنشاءات الوزارات الأخرى

القدم بتنظيم دورة حكام كرة القدم.

- نظمت الوزارة مسابقات فنية وثقافية ورياضية كان الهدف منها توجيه الشباب إلى التعاون وإلى تحمل المسؤولية في الإشراف على مثل هذه المسابقات.
- كونت الوزارة فرقة مسرح الشباب التي ستكون نواة للمسرح القومي.

وزارة الإعلام... منصة الجماهير

تعدُّ دولة الإمارات من الدول العربية المتقدمة في وسائل إعلام الجماهير وتوعيتها. وفي فترة إنشائها في تلك الفترة، كانت وزارة الإعلام والثقافة تشرف إشرافاً عاماً على محطات الإذاعة والتلفزيون العاملة في مختلف إمارات الاتحاد. وتنتهج الوزارة منذ قيام الاتحاد سياسة تستهدف تنسيق البرامج بين محطات الإذاعة والتلفزيون في الإمارات، وحل مشكلات الترددات لأجهزة البث الإذاعي المنتشرة في مختلف أنحاء الدولة، وقد تمَّ بالفعل تحقيق قدر كبير من التنسيق وتوحيد النداء بين محطات الإذاعة والتلفزيون العاملة فيها.

- انضمت إذاعة الشارقة بتاريخ 5 نوفمبر إلى الإذاعة المركزية في أبوظبي، بمبادرة من صاحب السمو الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم الشارقة.
- أنشأت وزارة الإعلام بموجب القانون رقم (5) إدارة خاصة بالصحافة المحلية.
- خلال شهر أكتوبر أمر الشيخ زايد بصرف قرض لكل مؤسسة صحفية قيمته مليون ونصف مليون درهم، لتكون بمثابة تشجيع على تطوير المؤسسات الصحفية الوطنية، كما أمر بمنح كل مؤسسة قطعة أرض تكفي لأبنية المؤسسة.
- عملت على إقرار تسهيلات عدة من شأنها تنظيم عمل هذه الصحف وتسهيل انتشارها.
- وضعت أنظمة وقوانين تتعلق بشروط الممارسة للعمل الصحفي.
- تقوم الوزارة حالياً بإعداد المبنى المناسب لإقامة نادي الصحفيين.

إحدى مذيعات التلفزيون الملون في أبوظبي

إدارة الآثار والسياحة

في دأبها منذ نشأتها، علمت دولة الإمارات علم اليقين أنَّ التنوع الاقتصادي حجر أساس في التطور والنمو والازدهار، آخذة على عاتقها، بحسب الكتاب السنوي للعام 1975، أن تخفف من اعتمادها على النفط في مواردها الاقتصادية. وكانت السياحة على رأس أولويات المنافذ الاقتصادية التي أولتها الدولة الاهتمام المنقطع النظير عبر إدارة الآثار والسياحة، التي تشارك كافة المؤتمرات السياحية والأثرية العربية والدولية، فهي عضو في الاتحاد العربي للسياحة، وعضو في اللجنة التنفيذية للإنماء، وعضو الاتحاد الدولي للسياحة، وقد شاركت في كافة مؤتمرات الاتحادين المذكورين. وقد أصدرت الإدارة كتاباً عن الآثار ضمنته مجموعة التقارير التي قدمتها البعثات الأثرية في الدولة، كما أصدرت نشرتين إحداهما عن العين والأخرى عن الزراعة في أبوظبي، كما أصدرت كتاباً عن السياحة في دولة الإمارات ويجري العمل لإصدار دليل المتحف، ومجلة سياحية وأثرية إضافة إلى لجنة سياحية وأثرية ومجموعة عن المناظر العامة في الدولة.

وبحسب الكتاب السنوي، فإنَّ إدارة الآثار والسياحة قد جهزت بعثتين محليتين للتنقيب عن الآثار في الدولة. ومن المقرر استقدام بعثة أثرية من الجمهورية العربية السورية. وقد

خطت الدولة خطوات واسعة في المواصلات البرية والبحرية والجوية والسلكية واللاسلكية

باشرت بعثتا التنقيب المحليتان أعمالهما في هيلي والقطارة. والإدارة جادة في صدد إرسال كتب إلى بعض الدول الأجنبية لاستقدام بعثات تنقيب أجنبية بشروط لا تتعدى حقوق النشر فقط عما تستطيع اكتشافه من آثار. وقد عملت بعثة التنقيب في الموسم الماضي في كل من رأس الخيمة والفجيرة ودبي، وكانت نتائج الحفريات مبشرة بالخير. وكان قد تمَّ ترميم وصيانة قبور هيلي وأم النار. وسوف تواصل بعثة الصيانة عمليات الترميم والصيانة لأهم المكتشفات الأثرية الشاخصة، وسوف تفتح إدارة الآثار مختبر معالجة القطع الأثرية المعدنية.

ويتولى قسم السياحة استقبال روّاد السياحة والآثار، كما يتولى كافة الأمور المتعلقة بالآثار والسياحة. وفي القسم خبير سياحي وضع خطة سياحية متكاملة للنهوض بالسياحة خلال ثلاث سنوات. ويتبع إدارة الآثار والسياحة حتى الآن استراحة عين الفايضة والشيخ خليفة وحديقة الحيوانات. وتولَّت الإدارة افتتاح عدة استراحات أخرى على الطرق الطويلة في الدولة وكذلك في الأماكن السياحية والمواقع الأثرية.

أقوال وتصريحات جديرة بالتنويه (1975)

26 يناير

أعلن معالي أحمد خليفة السويدي وزير الخارجية أمام وفد من رجال الأعمال الأمريكيين أن سياسة دولة الإمارات تهدف إلى الحفاظ على علاقاتها الطيبة مع دول المنطقة. كما أعلن أنَّ هناك اتصالات تجري لبحث انضمام قطر والبحرين إلى الاتحاد . وشدد على أهمية إقامة الصناعات الحديثة في البلاد استعداداً للمستقبل.

4 فبراير

أعلن أن مجلس إدارة بنك الإمارات العربية المتحدة للتنمية قرر إعطاء الأولوية في القروض للمشاريع الصناعية والزراعية والسياحية في الإمارات الشمالية.

25 فبراير

أقر المجلس الوطني الاتحادي رده على الخطاب الأميري، وأعرب المجلس في رده عن تقديره للإنجازات التي تحققت في المجالين الداخلي والخارجي من أجل بناء الوطن والمواطن.

2 مارس

نشرت الصحف مقابلة أجرتها مجلة كابيتال الاقتصادية الألمانية مع الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان جاء فيها قول سموه: «إنه لا بد من ربط سعر البترول بأسعار السلع الأخرى».

5 مارس

تحدثت الصحف عن مقابلة أجراها مع الشيخ زايد الصحافي الأمريكي آرنو دو بورشغريف، اتهم فيها شركات النفط الأجنبية بمحاولة شق جبهة الدول المصدرة للنفط، كما اتهم الولايات المتحدة بمحاولة إبعاد سوريا عن مصر بقصد خرق جبهة المواجهة.

16 مارس

أمر الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان بتشييد 3 آلاف مسكن شعبي جديد في مختلف أنحاء الإمارات.

21 مارس

افتتح الشيخ زايد طريق الرمس - شعم، في إطار جولته في الإمارات الشمالية.

26 أبريل

رأس الشيخ زايد بن اجتماع المجلس الأعلى للاتحاد. وقد قرر المجلس إجراء المزيد من الاتصالات لدعم الكيان الاتحادي، كما صادق على الموازنة العامة للاتحاد العام 1975.

27 أبريل

- نشرت الصحف تصريحات مهمة أدلى بها الشيخ زايد لعدد من الصحافيين العرب، تحدث فيها عن أهم وأخطر القضايا المطروحة محلياً وعربياً ودولياً. وأكد أنَّ اتحاد دولة الإمارات يزداد قوة ويستمد وجوده من وجود الأمة العربية وعزتها.
- أكد الشيخ زايد في حديثه إلى أعضاء المجلس الوطني الاتحادي أهمية الالتزام بالصراحة الكاملة على كل المستويات، لدفع المسيرة الاتحادية وبناء الوطن والمواطن.

5 مايو

نشرت الصحف حديثاً شاملاً للشيخ زايد عن الكيان الاتحادي وتحييد الخليج والعلاقات مع الأشقاء العرب.

6 مايو

عقد المجلس الوطني الاتحادي جلسة مغلقة استمرت خمس ساعات تحدث فيها الشيخ زايد عن تصوره لمهمات وطبيعة المرحلة الراهنة دعماً لمسيرة الاتحاد.

12 مايو

اتفق أعضاء المجلس الأعلى للاتحاد على توحيد الدفاع والأمن الداخلي، وتعزيز السلطات الاتحادية ومنحها الصلاحيات المقررة لها، وتنسيق السياسة النفطية، والاتصال بالحكومات الأجنبية عن طريق وزارة الخارجية.

29 مايو

أدلى الشيخ زايد بحديث إلى صحيفة الأهرام المصرية حول الأوضاع المحلية والعربية الراهنة أيد فيه عقد مؤتمر خليجي.

2 يونيو

أقر مجلس الوزراء العلاوة الاجتماعية للموظفين المواطنين التي تتراوح بين 100 و140 درهماً للابن الواحد على أن تصرف بأثر رجعي ابتداء من يناير الماضي .

11 يونيو

قام سمو رئيس الدولة بجولة تفقدية في المنطقة الشرقية.

16 يونيو

قال الشيخ صقر بن محمد القاسمي حاكم إمارة رأس الخيمة في حديث أدلى به إلى صحيفة الوطن الكويتية: إن القوة الأولى يجب أن تكون لجيش الاتحاد.

27 يونيو

أصدر الشيخ زايد قراراً اتحادياً بتشكيل اللجنة التأسيسية لإعداد مشروع الدستور الدائم لدولة الإمارات العربية المتحدة.

5 نوفمبر

أعلن الشيخ سلطان بن محمد القاسمي حاكم إمارة الشارقة في احتفال رسمي انضمام قوات الحرس والشرطة إلى القوات الاتحادية، كما أعلن ضم إذاعة الشارقة إلى الإذاعة الرئيسة في أبوظبي .

من مفكرة « أخبار دبي » (12)

دولة قامت على رعاية أبنائها وتلبية احتياجاتهم ليكونوا أسعد شعب

الإمارات: منزل لكل مواطن

نماذج من مشروعات برنامج الشيخ زايد للإسكان

بقلم: خليل البري

يظلُّ المسكن الصحي المناسب في مقدمة الاحتياجات الرئيسة لكل مواطن كي يعيشَ حياةً آمنةً مطمئنةً يستطيع فيها أن ينصرفَ إلى عمله بذهن صاف ونفسية متفائلة.

وقد وضع مؤسِّسا دولة الإمارات العربية المتحدة، المغفور لهما الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، والشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، في سلَّم أولوياتهما، توفير السكن المناسب لكل مواطن في الدولة.

ومن أجل تنفيذ هذا الهدف الأسمى للدولة التي نقلت مواطنيها إلى واحة الأمن والازدهار والاستقرار، التي لا يتمتَّع بها سوى شعوب قليلة على وجه هذه المعمورة، استحدثت الإمارات مجموعة من المؤسَّسات والهيئات التي تعنى بتوفير المسكن الملائم الذي يوفِّر كلَّ احتياجات المواطن الاجتماعية والصحية والخدمية، منها على سبيل المثال: برنامج الشيخ زايد للإسكان، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم للإسكان، هيئة أبوظبي للإسكان، ودائرة الإسكان في الشارقة.

وكان قبلها يوجد «مجلس الإعمار» في دبي.

وقد أنفقت الدولة من خلال هذه المنظومة الإسكانية مئات المليارات من الدراهم، بَنَت من خلالها عشرات الآلاف من المساكن للمواطنين في أنحاء الدولة كافة، أو قدَّمت قروضاً ومنحاً وقطع أراض للبناء لآلاف المستفيدين من المواطنين. ولعلَّ آخرها، وقبيل عيد الفطر، ما وجَّه به صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء، رعاه الله، بصفته حاكماً لإمارة دبي، بتخصيص 3000 قطعة أرض، وقروض سكنية للمواطنين، بإجمالي 5.6 مليارات درهم، وذلك في إطار حرص سموه على توفير مختلف الضمانات التي تكفل للأسرة الإماراتية السعادة والاستقرار، وتهيئة الظروف، لمنح المواطن وأسرته المسكن الملائم، الذي يلبي احتياجاتهم، ويكفل لهم الحياة الكريمة، التي لا تدخر دولة الإمارات جهداً في توفيرها، وترسيخ دعائمها، وفق أفضل المعايير العالمية.

شخصية فذة رعت أبناءها ولبت كل احتياجاتهم

وكذلك ما قدمته حكومة أبوظبي عبر «هيئة أبوظبي للإسكان» في شهر مايو الماضي، من مساكن جاهزة وقطع أراضٍ للمواطنين إلى جانب قروض سكنية بقيمة 15.5 مليار درهم في عام واحد، وتحديداً من نهاية مايو 2019 إلى 19 مايو 2020. وقد استفاد منها نحو 11 ألف مواطن في أبوظبي بصورة قروض سكنية وتوزيع مساكن وأراض سكنية.

عيدية محمد بن راشد: تخصيص 3000 قطعة أرض وقروض سكنية للمواطنين بإجمالي 5.6 مليارات درهم

راشد والسكن المناسب

في تحقيق نشرته «أخبار دبي» للزميل إلياس مصلح في إبريل من العام 1977، سلَّطت فيه الضوء على مسيرة «توفير السكن المناسب لكل مواطن»، التي وضع أسسها المغفور له، بإذن الله تعالى، الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، باني مسيرة دبي الحديثة، والذي وجَّه بتلبية احتياجات المواطنين من المساكن، بحيث ترضي أذواقهم وفق عاداتهم وتقاليدهم وتلبي احتياجات الحياة العصرية.

جاء في التحقيق: «لعلَّ هذا المسكن كان دائماً حلم الكثيرين، فقد عاش المواطن هنا في مساكن متنوعة ومتواضعة بناها بعرق جبينه مستعيناً ببعض الطين والحجارة، أو سعف النخل وقطع الأخشاب، غايته من ذلك الحصول على ملجأ بسيط بالوسائل المتوافرة له، يقيه حرارة الشمس وبرد الشتاء.

وإيماناً من صاحب السمو الشيخ راشد بأهمية توفير احتياجات المواطنين من المساكن الحديثة، طرح سموه العديد من المشاريع الإنمائية، فكان مجلس الإعمار، الذي تملَّك بموجبه المواطنون مئات، بل آلاف الشقق الحديثة المشيدة وفقاً لأحدث التصميمات.

وأخيراً وليس آخراً وضع خطة طموحة تهدف إلى بناء المساكن الشعبية التي تلبي احتياجات المواطنين من ذوي الدخل المحدود، وتتناسب مع عاداتنا العربية، وفي الوقت نفسه تحقِّق متطلبات العصر.

وقد بدأت لجنة المساكن الشعبية بالبلدية والمشكَّلة من السادة: محمد بن ظاهر، حمد بن سوقات، خلفان بن قمبر بتسليم الدفعة الأولى من هذه المساكن، وعددها 845 مسكناً شعبياً، إلى أصحابها في مناطق متعددة من دبي، ابتداءً من العشرين من مارس الماضي.

كما تواصل اللجنة اجتماعاتها للبتّ في الطلبات المقدمة من المواطنين للحصول على بقية المساكن، أو إدخال إضافات جديدة على المساكن التي يقيمون فيها حالياً، وسوف تباشر اللجنة كافة اختصاصاتها للتأكد من أحقية المواطنين المرشحين للحصول على المساكن الشعبية وفقاً لتوجيهات صاحب السمو نائب رئيس الدولة حاكم دبي.

* أين تقع المساكن الجديدة؟

** يقول السيد محمد بن ظاهر عضو لجنة المساكن الشعبية ومدير مكتب الشحن البحري بديرة: إنَّ المساكن التي تمَّ تشطيبها وتوزيعها على المواطنين من دون مقابل ومن ذوي الدخل المحدود تتوزع كالآتي:

الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم

محمد بن ظاهر

- 280 مسكناً في حي الجميرا.
- 65 مسكناً في الراشدية بديرة وند راشد.
- 200 مسكن في منطقة القصيص.
- 300 مسكن في منطقة الحمرية.

وقد تمَّ بالفعل إنجاز هذه المساكن، وتسلَّمها أصحابها، وباشروا بتهيئتها لسكناهم مع عوائلهم بعد أن تمَّ توصيل التيار الكهربائي إليها، كما أنَّ هناك 150 طلباً مقدماً من المواطنين لإدخال بعض الإضافات والتعديلات على مساكن قديمة يمتلكونها وبحاجة ماسة إلى الترميم أو التوسيع كي تستطيعَ استيعابهم مع أفراد أسرهم. وسوف يقام بالقرب من هذه المساكن بتعليمات من الشيخ راشد مسجد ومدرسة ومحلات تجارية لتأمين احتياجات هذه التجمعات السكنية، وجعلها أحياءً نموذجيَّةً في دبي.

قواعد لمستحقي المساكن

* سألته: هل هناك قواعد معينة لتحديد الأشخاص الذين يستحقون هذه المساكن؟

** في الحقيقة، راعى الشيخ راشد أكثر من اعتبار حين أمر بإنشاء هذه المساكن قبل عامين تقريباً؛ فبعض المواطنين لا يملكون أرضاً لاستثمارها في البناء كما تنصُّ قوانين الإعمار، وبعضهم الآخر من المواطنين من ذوي الدخل المحدود يعيلون أسراً كبيرة من عشرة أشخاص أو أكثر، ولا يمتلكون مسكناً مناسباً، كما أنَّ بعضهم الآخر كان يعاني من الإقامة في بيوت غير صحية على الإطلاق، وهذه الأمور مجتمعة جعلت سموه يسارع ببناء

أبوظبي: قروض سكنية ومساكن وأراض بـ 15.5 ملياراً في عام استفاد منها 11 ألف مواطن

هذه المساكن النموذجية ويوزعها على أصحابها من المستحقين؛ كي ينهي شكاوى المواطنين فيما يتعلَّق بمشكلة السكن.

وأضاف: على كل مواطن يفكر بالحصول على مسكن شعبي أن يتقدَّمَ للجنة المساكن الشعبية بالبلدية بطلب خطي مرفق بالوثائق التي تثبت أنه من أبناء هذا البلد، ولا يمتلك أيَّ منزل في دبي، وأنه يعول أسرة يذكر في طلبه عدد أفرادها، ويبيِّن أيضاً مصدر دخله وكم يدخله شهرياً من الدراهم.

تصاميم تراثية عصرية

* سألته: وماذا عن تصميم المساكن الشعبية الجديدة؟ ومن الذي يتولى تنفيذها؟

** إنَّ لجنة المساكن الشعبية ومعها كبار مهندسي البلدية اهتموا بأن تأتي التصميمات لتلبي احتياجات المواطنين وترضي أذواقهم وفق عاداتهم وتقاليدهم، وفي الوقت ذاته تلبي احتياجات الحياة العصرية؛ فالذي يزور هذه المساكن يخيَّل إليه وهو ينظر إليها من الخارج أنها مبنية على الطراز العربي القديم مئة في المئة من حيث ارتفاع السور المحيط بالمساكن ووجود

تسليم 845 منزلاً من مشروع التمليك والبقية تأتي

المنازل الجديدة توفق بين الحاجات التقليدية والحياة العصرية

أحد نماذج المنازل

سياسة توفير المساكن مستمرة في ظل قيادة تحب شعبها وتلبي كل احتياجاته

مساحة واسعة من الأرض في باحة المنزل يمكن استثمارها في أغراض عدة، كما أنَّ المجلس والدرايش «النوافذ» والأقواس من المميزات الرئيسة للنظام الهندسي المتبع قديماً في البناء، ولكن الزائر لا يلبث أن يفاجأ حين يعبر من الباب الخارجي بالغرف الأنيقة وسخانات المياه ووسائل الإضاءة، إلى جانب المرافق العامة المشيدة لكل غرفة من هذه الغرف المبنية على الطراز الأوروبي. بحيث يمكن لأسرة صغيرة العيش فيها بسهولة ويسر، لاحتوائها على كلِّ ما يلزمها من المرافق والخدمات. وقد صممت هذه المساكن على ثلاثة طرز رئيسة؛ فهناك مسكن يتكوَّن من ثلاث غرف ومستودع ومجلس، ومسكن آخر من غرفتين ومجلس، والطراز الثالث يتكوَّن من غرفة واحدة مع المرافق الملحقة بها، ويتمُّ توزيع وتصنيف هذه المساكن تبعاً لعدد أفراد الأسرة التي تنوي الإقامة فيها.

أما الجهات المسؤولة عن تنفيذ المساكن فهي شركة دبي للإنشاءات ومؤسِّساها عبد الله الموسى وسالم الموسى.

* سألته: وهل يجوز لأي من مستحقي هذه المساكن الانتفاع بمسكنه كتأجيره مثلاً؟

** أعتقد أنَّ الجواب سيكون حتماً بالنفي؛ لأنَّ سمو الشيخ راشد حين أمر بإنشاء هذه المساكن كان يريد تلبية احتياجات فئة محددة من مواطنينا، تعاني من مشكلة السكن أو قلة الدخل، وعليه فإنه يفترض في الشخص الذي سيحصل على المسكن أن يحتفظَ به لنفسه ولأولاده من بعده، ويتمتعَ بكافة حقوق الملكية بشرط عدم تأجيره لأحد أو إدخال أي إضافات عليه قبل الحصول على إذن بذلك من الجهات المختصة.

وأودُّ أن أقولَ في النهاية، بالنيابة عن كل الذين حصلوا على مساكن شعبية أو في طريقهم إلى ذلك: «شكراً لصاحب السمو الشيخ راشد، الذي يعرف كيف يحيط أبناءه من المواطنين بالعطف والرعاية، وهذا سرٌّ من أسرار شخصيته العظيمة».

قريباً

كتاب عن الشاعر الراحل

حمد خليفة بو شهاب

حنين وذكريات

سيرة، شهادات، قصائد، قراءات نقدية

يشارك فيه نخبة من الكُتّاب

يصدر عن

مركز جمال بن حويرب للدراسات

Jamal Bin Howaireb Studies Center

في أمسية تراثية استضافها مركز بن حويرب للدراسات

«رحّالة الإمارات»
سفراء التسامح والمحبة والسلام

بن مجرن متحدثاً في الجلسة بحضور جمال بن حويرب

مدارات ونقوش - دبي

قال المستشار والمؤرخ جمال بن حويرب، المدير التنفيذي لمؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة: إنَّ فريق رحالة الإمارات حقّق تطلعات المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، في نشر التراث الإماراتي في جميع أنحاء العالم، ويجسِّد رؤية سيدي صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم في الوصول بدولة الإمارات إلى العالمية، والرقم واحد، وأنه لا مستحيل في قاموسنا لبلوغ تطلعاتنا وأهدافنا.

جاء ذلك في أمسية مشوقة استضاف فيها مركز جمال بن حويرب للدراسات، عوض محمد بن الشيخ مجرن، رئيس فريق رحالة الإمارات، حضرها لفيف من الباحثين والأدباء، يتقدمهم يوسف عيسى الصابري سفير الدولة السابق لدى بولندا ثمَّ إثيوبيا، عبد الله بن جاسم المطيري، رشاد بوخش، د. شهاب غانم، د. يوسف شراب، عادل المدفع، ومحمد صالح بداه، وآخرون.

وقدم بن حويرب، بن مجرن مؤكداً أنَّ الفريق الذي يرأسه ويمثل شباب الإمارات، نقل تاريخ الدولة وتراثها إلى نحو 90 دولة زارها على مدى 23 عاماً، وكانت الرحلة في تلك الأيام

بن حويرب: الفريق عرّف العالم بتاريخ الإمارات وتراثها

بن مجرن: أجمل لحظات حياتنا لقاؤنا الشيخ زايد في جنيف

تمثل ضرباً من الجنون. وهؤلاء هم «عيال زايد»، سفراء التسامح والمحبة والسلام لا يعرفون الخوف ولا المستحيل.

حفظ التراث

وبدأ عوض بن مجرن حديثه، بتقديم الشكر لمركز جمال بن حويرب لما يبذله من جهد في نشر الثقافة، وحفظ التراث الإماراتي. وأردف قائلاً: إنَّ الحديث عن فريق رحالة الإمارات، يعيدني بالذاكرة إلى العام 1996، يوم قررنا، أنا وخمسة من شباب الإمارات، يشكِّلون نواة الفريق، القيام بأول رحلة استغرقت 6 أشهر، جاب خلالها دول الخليج العربي، وبلاد الشام وأوروبا والمغرب العربي وأمريكا الشمالية والجنوبية، وغابات الأمازون.

وكانت أسعد لحظات حياتنا يوم التقينا المغفور له، الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان، طيَّب الله ثراه، في جنيف، وحظينا يومها بدعمه ورعايته، للقيام بتلك الرحلة، بعد أن أكد لهم أنَّ عليهم أن يكونوا خير سفراء لبلادهم، وأنَّ عليهم نقل الصورة الحقيقية عن دولة الإمارات.

كما أصدر سموه توجيهاته السامية إلى الجهات المعنية كافة، لتقديم كلِّ أشكال الدعم والمساندة والعون لأعضاء الفريق، والعمل على تسهيل مهمتهم الوطنية، وتذليل العقبات والمصاعب التي قد تواجههم.

وأضاف بن مجرن: قام الفريق بنحو 9 رحلات، شملت 90 دولة، وقطع خلالها نحو 185 ألف كيلومتر، وما كان ذلك النجاح ليتحقَّق لولا حسن الإدارة، وتوافر الإرادة، والتصميم على الاستمرارية، وقبل هذا وذاك الدعم والتشجيع من قِبَل القيادة الرشيدة، وبخاصة من قِبَل صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم، نائب رئيس الدولة رئيس مجلس الوزراء حاكم دبي، رعاه الله، وسمو الشيخ حمدان بن محمد بن راشد آل مكتوم، ولي عهد دبي، الذي تشرفنا برعايته ودعمه لمهرجان الرحّالة العالمي في دبي.

رحلات ومهرجان

واستطرد المحاضر: ثمَّ قمنا برحلات عدة، استغرقت الثانية 5 أشهر، وشملت شرق آسيا وأستراليا وإندونيسيا وماليزيا وسنغافورة وتايلاند والهند ونيبال وباكستان وإيران والعراق، في حين تنقَّل الفريق في الرحلة الثالثة على مدى 4 أشهر، بين جنوب إفريقيا وزيمبابوي وزامبيا وتانزانيا وكينيا والسودان ومصر وليبيا وتونس.

فريق «رحالة الإمارات» بقيادة عوض بن مجرن

والرحلة الرابعة استمرت شهراً واحداً، وشملت شبه الجزيرة العربية وسلطنة عمان واليمن والسعودية، وامتدت الرحلة الخامسة على مدى شهرين، وضمَّت الصين وروسيا ومنغوليا وإيران وكازاخستان، بينما شمَلت السادسة، كلاً من جيبوتي وإثيوبيا فقط، والرحلة السابعة كانت في بيرو والإكوادور، والثامنة في مدغشقر.

وحول أكثر الرحلات العالقة بالذاكرة ضمن فعاليات رحالة الإمارات، أشار بن مجرن إلى مهمة تسلُّق أعلى قمة جبلية في القارة الإفريقية على الجِمال، وتمكّن أشبال رحالة الإمارات من تسلق جبل كليمنغارو، وهي المهمة التي قادها بن مجرن بنفسه، وشارك فيها أشبال لا تتجاوز أعمارهم 12 عاماً، ليكون الفريق الإماراتي أصغر فريق في العالم يتمكَّن من تحقيق هذا الإنجاز، فضلاً عن الأنشطة التي تؤكِّد ثقافة الجلَد وتحمُّل المشاق وتحديات قسوة حرارة رمال الصحراء، من خلال مسابقات «تحدي الرمضاء» التي نظَّمها الفريق في دبي وفي أستراليا لاحقاً. مشيراً إلى أنَّ الفريق يوثّق معلوماته بالتصوير والتدوين وإصدار الكتب، ويعمل حالياً على إصدار كتاب توثيقي جديد، وإنتاج فيلم سينمائي.

وتحدَّث عن إطلاق مهرجان الرحالة العالمي بدبي، الأول من نوعه عالمياً، والذي حقَّق نجاحاً باهراً خلال مواسمه الماضية، إضافة إلى إثرائه السينما المحلية بأفلام وثائقية مهمة حول أسفار الرحالة ومغامراتهم.

وقد أقيم المهرجان برعاية سمو الشيخ حمدان بن محمد آل مكتوم، وانضمَّ إليه نحو 100 رحّالة من مختلف جنسيات العالم، وكان حافزاً كبيراً لمحبي المغامرة والترحال، وأصبح فرصة لتجمع الرحّالة من حول العالم بهدف تبادل الخبرات وتعريف العالم بعادات وتقاليد الإمارات ومشاهدة الأماكن

مرافقتي الشيخ راشد في الطفولة أكسبتني عشق الترحال

السياحية الجذّابة والاستمتاع بها.

راشد وعشق الترحال

قال بن مجرن: إنه منذ نعومة أظفاره، يعشق الترحال والسفر إلى أصقاع جديدة يمتّع بها عينيه، ولم يتردَّد في خوض تجارب شتى، قائلاً: كنت أرافق والدي باستمرار في سفراته ورحلات الصيد إلى البر. وقد أسهم تقارب بيوتنا وتداخل فرجاننا قديماً في تحفيز الكثيرين على المشاركة في رحلات جماعية إلى البر، فضلاً عن الإبحار المتكرر لاكتشاف سحر المياه الزرقاء، ونحن في سن مبكرة. وقد كنت حاضراً في رحلات مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، رحمه الله، وفي واحدة منها إلى كراتشي، وأخرى داخل البلاد إلى جزيرة صير بو نعير ومنطقة الخران في رأس الخيمة وحتا، فضلاً عن رحلات القنص السنوية. وكنت حريصاً على ارتياد مجالس الكبار ومرافقة والدي إليها، ونهلت من مجلس المغفور له الشيخ راشد، طيب الله ثراه، الكثير، واستقيت دروساً ساعدتني في التغلب على أعباء الحياة.

عقبات وتحديات

قال المحاضر الذي قدَّم عرضاً مصوراً من خلال الفيديو: لم يكن طريق الرحلات مفروشاً بالورود، وأولى العثرات بدأت في إقناع الأسرة بهذه الرحلة أو المغامرة «الأولى»، وقد واجهتنا كفريق «رحالة الإمارات»، صعوبة بالغة في إقناع الأقارب بهذه التجربة المخيفة، حتى أخبرناهم أنها مجرد رحلة قصيرة إلى أوروبا، لطمأنتهم وتبديد خوفهم، خاصة أن جملة «حول العالم» غير قابلة للنقاش من طرفهم، وبالتحايل رضخ الجميع للفكرة بعد أشهر، ومن بينهم والدي الذي شرحت له أهداف الرحلة وأبعادها الوطنية.

بعد ذلك بدأت عملية التنسيق مع جميع السفارات في كافة الدول المستهدفة، وأنهينا كافة الاستعدادات للانطلاق، واستغرقت هذه الإجراءات نحو خمسة أشهر، وقد حصلنا على الدعم من جهات مختلفة، فكانت الانطلاقة في الأول من يوليو عام 1996، بحضور الفريق سمو الشيخ سيف بن زايد آل نهيان، نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الداخلية، والشيخ حمد بن حمدان آل نهيان.

وقد واجهتنا الكثير من العقبات بعد بداية الانطلاق مثل المرور على بعض الدول غير الآمنة، فبعض الدول كانت تمر في حالة اضطراب وحروب، وظروف بعضها الآخر المناخية كانت صعبة للغاية، فضلاً عن القيادة لساعات طويلة بلغت في أقصاها 43 ساعة دون توقف.

وعلاوة على ذلك، قال عوض بن مجرن: إنَّ الرحلة لم تخلُ من المشكلات كالسرقات، إضافة إلى مشاهدات أخرى كشفت عن حجم الإجرام واختطاف الأطفال في بعض المناطق، والمشكلات الاجتماعية في بعض الدول، والفساد الإداري وانعدام التعليم والبطالة. وأضاف: إنَّ من أهم الصعوبات التي واجهت الفريق، آلية إخراج السيارات من الموانئ في بعض الدول النامية أو عبور حدودها، والقيود الصعبة التي تفرضها بعض الدول. والقيادة المتأخرة ليلاً ومحاولة التغلب على النعاس.

وأشار بن مجرن إلى أنَّ الطرق غير الآمنة وصعوبة التواصل مع بعض الشعوب، ظلت من أبرز المطبات التي واجهت الفريق، مضيفاً: إنَّ صعوبة الإقامة في بعض المناطق النائية كانت عائقاً إضافياً، وقد تغلَّب عليه أعضاء الفريق مع مرور الوقت. واضعين بعض الحلول الاحترازية لتفادي الوقوع في مشكلات لا تنتهي، ومن أهمها الوقاية من التسمُّم الغذائي، والحذر من قطّاع الطرق.

وأضاف: واجهنا صعوبة كبيرة عندما تسلَّقنا بالجِمال جبال كليمنغارو، لأنَّ الجمل غير مؤهل للصعود نحو الأعلى، وكلما ارتفعنا تشعر الجِمال بالدوار وكنا نسعفها ونحاول إراحتها على فترات متقاربة، حتى تعود إلى الأرض بسلام

الفريق قطع 185 ألف كيلومتر في 9 رحلات بالسيارات شملت 90 دولة

صورة جماعية للمشاركين في الجلسة

من دون أن تصاب بأذى.

وبعد مضي ستة أشهر على رحلتنا، يضيف بن مجرن، بدأت علامات الإنهاك والتعب تبرز على وجوه أعضاء الفريق، وتضاربت الآراء بين الاستمرار في الرحلة أو العودة إلى البلاد، وقد أيد الجميع فكرة العودة من أجل المشاركة في احتفالات الدولة بيومها الوطني، خاصة أنها كانت تحتفل باليوبيل الفضي لقيام الاتحاد، وفعلاً عدنا إلى الإمارات، وهنا عُقِد مؤتمر خاص عن هذه الرحلة المليئة بالمغامرة.

ترحيب منقطع النظير

سعى فريق «رحالة الإمارات» بقيادة عوض بن مجرن، إلى التمثيل الإيجابي والترويج المنطقي لدولة الإمارات العربية المتحدة، والحرص دائماً على مخاطبة جميع ثقافات وشعوب العالم، عن أهم ما يميز الدولة. إذ لاقى الفريق ترحيباً منقطع النظير من الجميع حول العالم.

وأكد بن مجرن أنَّ عمل الدولة الدؤوب في تقديم المساعدات الإنسانية والمشاركة في فعل وترسيخ الخير والعطاء، أسهم في تسهيل مهمة الفريق وتسيير الرحلة بيسر ونجاح، موضحاً أنَّ الكثير من الشعوب أثنت على مبادرات حكومتنا الرشيدة وقيادتها في إغاثة الشعوب لقهر الجوع وتمكين الناس من مواصلة حياتها بصورة طبيعية.

طرائف... شبيه صدام

وتحدَّث المحاضر عن أهم المواقف التي كانت ممزوجة بالطرافة والخوف معاً، قائلاً: مررنا على مجموعة من المتدربين في الحرس الشعبي على قارعة أحد الطرق الخارجية في العراق. وكان معنا صديق يشبه الرئيس العراقي السابق صدام حسين، ومن باب الطرافة، بادر هذا الصديق بالتلويح بيده بغرض تحية الجنود، وهي الحركة ذاتها التي تميَّز بها الرئيس العراقي السابق، وفوجئنا بالتفاف الجنود من حولنا، والتهليل والتكبير، وترديد شعارات للرئيس. وظلت الهتافات تتصاعد حول السيارة،

يعمل الفريق حالياً على إصدار كتاب توثيقي جديد وإنتاج فيلم سينمائي

ولم يجرؤ أحد من الفريق على التفوُّه بكلمة واحدة، وقد سيطر الخوف والجمود علينا. وبعد أن تمكنا من مغادرة المكان، بلغت قهقهات الجميع عنان السماء، بفعل المشهد الذي عايشناه في خوف والتباس، رافعين أيادينا شكراً لله تعالى أن نجانا من خطر كان محققاً لو أدرك أحد الجنود أنها مجرد مزحة.

أبطال الفريق

يضمُّ فريق رحالة الإمارات أبطالاً آمنوا بأهمية الصبر والعطاء، والتعاون والعمل الجماعي لمواجهة الصعاب والمخاطر، كلاً من: عوض بن مجرن، أحمد العور، هشام الزرعوني، عارف السويدي، محمد العامري، أحمد بن غليطة، منذر أكرم جمعة، جمعة أكرم جمعة، عبد الباري بن سوقات، إبراهيم درويش، أحمد المهيري، أحمد بن حارب، منصور الحبتور، ضاحي بن ضاحي، محمد فرج، أحمد العامري، عادل لوتاه، هاشم العور، مصطفى عبدون.

في أمسية ثقافية نظمها مركز بن حويرب للدراسات

الكائنات الخرافية في التراث الشعبي

خيال تاريخي ممزوج بالحقائق

حشد من المهتمين في الجلسة

مدارات ونقوش - دبي

قال الباحث والأديب الدكتور عبد العزيز المسلم، رئيس معهد الشارقة للتراث، إنَّ ما جاء في الموروث الشعبي الإماراتي حول الكائنات الخرافية، يقوم في معظمه على شيء من الحقيقة والصحة، رغم ما اعتراه من كثير من نسج الخيال والتضخيم. في حين طالب عدد من حضور الأمسية التي نظمها مركز جمال بن حويرب للدراسات، وتحدَّث فيها الدكتور المسلم عن «الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»، بإجراء دراسات علمية حول تأثير الجينات في كثير من أبطال القصص الخرافية التي يعجُّ بها الموروث الشعبي الإماراتي.

بدأت الجلسة بتقديم للباحث والمؤرخ جمال بن حويرب، المدير التنفيذي لمؤسَّسة محمد بن راشد آل مكتوم للمعرفة، أكد فيه أهمية هذا الموضوع في المخيلة الشعبية الإماراتية، والتي يعدُّ الأستاذ الدكتور عبد العزيز المسلم خير مَن كتب فيها على مدى عقود، والتي يؤكدها هذا الحضور الكبير من الباحثين والمهتمين ورجال الإعلام والصحافة.

وأضاف بن حويرب: شاع عند العرب في بلادنا أنهم إذا سمعوا كلاماً غير مصدَّق، أو قصصاً خيالية، أو كانت مستملحة ممتعة بحسب الموقف الذي تُذكر فيه؛ فإنهم يقولون مباشرة: هذي «خرّوفة» ويجمعونها على خراريف، وكذلك تقول الجدات لأحفادهنّ: هذه الليلة سأقصُّ عليكم «خرّوفة».

و«الخرّوفة» بفتح الخاء وتشديد الراء وضمّها هي القصص الخيالية التي اخترعها الناس ليسلّوا أنفسهم ويسمروا بها، وأصلها الفصيح «خُرافة» بضم الخاء، ومعناها القصص المستظرفة التي تروى ليلاً، ثمَّ أصبحت علماً على كل خبر كذب أو غير واقعي بعد ذلك، ولم يكن العرب يعلمون سبب تسمية هذه الأساطير «خُرافة»، بل كل ما يستظرفونه من القصص كانوا يطلقونه عليها، وقد قال معجم لسان العرب: (والخُرافة الحديثُ المُستَملَحُ من الكذب)، فهم لم يكونوا يعلمون بأصل اشتقاق هذه المفردة حتى أخبرنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأصل اشتقاقها، تقول عائشة، رضي الله عنها: حدّث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، نساءه ذات ليلة حديثاً فقالت امرأة منهن: يا رسول الله كأن الحديث حديث «خُرافة»، فقال عليه الصلاة والسلام: أتدرون ما خرافة؟ إنَّ خرافة كان رجلاً صالحاً من «عُذرة» أسرته الجنُّ في الجاهلية فمكث فيهن طويلاً، ثم ردّوه إلى الإنس، فكان يحدث الناس بما رأى فيهم من أعاجيب، فقال الناس حديث «خُرافة». رواه أحمد.

ومن حديث الرسول، صلى الله عليه وسلم، يتبيَّن لنا بأنَّ هذا الرجل الصالح من قبيلة بني «عذرة» القضاعية واسمه «خُرافة»، ولعلَّ اسمه مشتق من خُرافة النخل، وهو ما خُرف من رطبها، وقد وصفه نبينا بأنه رجل صالح، فهو لم يكذب على قومه بما رآه ورواه عن الجن، ولكنهم كذَّبوه بما رأى، حتى قالوا عن كلِّ ما يسمرون به في الليل ويستملحونه من الأساطير حديث «خُرافة»، وفي عاميتنا نقول للقصص الخيالية «خرّوفة».

الكائنات الخرافية

قال د. عبد العزيز: إنه توقف عن الكتابة منذ نحو 6 سنوات، بعد أن أصدر كتابه «موسوعة الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي»، الذي ترجم إلى لغات حية عدة منها الإنجليزية والفرنسية والروسية، وقد بيعت أعداد كبيرة منه في معرض موسكو الأخير للكتاب.

وأضاف: في هذه الدراسة في المخيلة الشعبية، أكدت أنَّ الكائنات الخرافية بأشكالها وأهوالها، سواء أكانت في إطار الحكايات الخرافية أو خارجها، وإن كانت قديماً تروى مشافهة ولا تفسر، كانت جميع عوالمها محجوبة معزولة عن التداول والمناقشة، وكثير من الحوادث والكوارث الشخصية والعامة التي حدثت في الماضي، كانت تُنسب أحياناً إلى الخوض في مثل هذه الأمور.

وتابع المسلم: إنَّ مجتمعاً مثل مجتمع الإمارات كان يعيش في عزلة شخصية بحتة، وانفتاح اقتصادي كبير، فعلى الرغم من بساطة الحياة القديمة وبساطة الناس وطيبتهم النادرة، فإنهم كانوا كثيري الحيطة والحذر من الاتصال بالآخر، وهذا ساعد على بروز حالة من الانعزال عن التأثر بالأفكار الجديدة التي لا تمرُّ إلا بقنوات معلومة، فالتأثر جائز، لكن الإجماع على الجديد كان ضرورياً، والانفراد كان سمة شاذة. لذا تعدَّدت الرموز والإشارات لدى الإماراتيين واختلفت مدلولاتها في حياتهم وأدبهم الشعبي، وبرزت بشكل ملحوظ في تفكيرهم الظاهر والباطن.

> **عبد العزيز المسلم:**
> **الخيال والحقيقة يجتمعان في الموروث الشعبي**

> **الحكاية الخرافية في هيئتها العامة تدخل ضمن أقسام الأدب الشعبي**

وتابع: أما الحكاية الخرافية في هيئتها العامة، فتدخل ضمن أقسام الأدب الشعبي، أما في صفتها الخاصة ومضمونها فتأتي ضمن المعتقدات الشعبية وصيانة التقاليد، فلكل انحراف خلقي أو انحلال اجتماعي كان هناك كائن خرافي مخيف، مهمته ردع من تجرأ على تجاوز تلك الحدود، والآفات الاجتماعية كثيرة مثل الحسد والبغي والسرقة والزنى والخيانة والجشع والظلم وغيرها.

محاور وموضوعات

وقال المحاضر: احتوى الكتاب على عناوين ومحاور وموضوعات عدة، من بينها، حكايتي مع الكائنات الخرافية، موسوعة الكائنات الخرافية، تجربة رائدة، وتناول الكتاب نحو 37 كائناً خرافياً في الحكايات الإماراتية منها «الراعبية»، «السعلوة»، «الضبعة»، «الضباحة»، «أم الدويس»، «بابا درياه»، «خطاف رفاي» و«أبو السلاسل» وغيرها من الكائنات الخرافية، وبحث في أصلها ومكانتها ونظرة المجتمع لها، كما تناول قراءة في بنية الموروث الحكائي الشعبي في الإمارات وغيرها.

واعتمد تنفيذ الكتاب على الرسم، إذ استعان المؤلف بأربعة رسامين اعتمدوا على المنهج البحثي.

ويتكوّن الكتاب من أقسام عدة أهمها: اسم الكائن، والبيئة التي اشتهر فيها، وأصل وتفسير هذا المسمّى، كما يتناول المصادر التي تحدثت عنه وتناقلته، وأصوله وذكره في الأدب العربي القديم.

التراث الشعبي

قال المحاضر: إنَّ الأدب الشعبي، سواء

الكائن الخرافي مهمته ردع من تجرأ على تجاوز الأخلاق الفاضلة ومواجهة الآفات الاجتماعية

كان مادياً أم غير مادي، ما هو إلا تعبير جمالي لتجربة إنسانية من منظور جمعي، وظائفه (المتعة، التسلية والترفيه)، ويقود إلى التربية، التعليم والتثقيف.

ومن أشكاله أن يكون مرسلاً: (عبارات دارجة، أمثال، ألغاز، معضلات وحكايات).

أو يكون موزوناً (حكايات مغناة، شعر وأهازيج).

وأضاف: بالنسبة إلى الحكايات فتشمل (خرييفات، حكايات مغناة، خرايف «الحزوات»، حكايات خرافية).

- الحكايات التاريخية: تشمل (الهجرات، الصراعات،القحطوالأمراضالوبائية).
- حكايات التذكر والتجارب اليومية «السوالف».
- حكايات المعتقدات، الأمثال، الدينية، الهزلية والفراسة. إضافة إلى قصص الحيوان والقصص الشعرية.

أمّا أشكال الكائنات الخرافية فتنقسم إلى صور عدة تبعاً للشكل السردي الواردة فيه الشخصية. منها الشكل البشري، أنصاف البشر، حيوانات، نباتات، جماد، جن وشياطين.

وتطرَّق المحاضر إلى بعض الحكايات الخرافية التي جاءت في الموروث الشعبي الإماراتي، مثل حكاية بوشراع، أبو سلاسل، فتوح، وسدرة الصنم في الشارقة. وقصص تعرض لها شخصياً قبل أن يختتم بقوله: إنه حاول أن يكون في تقديمه راوية وليس أكاديمياً.

حضور وحوارات

شهد الأمسية حضور كبير يتقدمهم جمع من الأكاديميين والمهتمين والإعلاميين والأدباء، منهم الدكتورة مريم مطر، الأستاذة منى حماد، الأستاذ محمد الدراجي، القنصل الجزائري العام في دبي، المستشار التراثي أحمد محمد عبيد، المستشار التراثي عبد الله بن جاسم المطيري، المستشار التراثي رشاد بوخش، خالد الجلّاف، د. يوسف شراب، سعيد النابودة، د. شهاب غانم، د. معتز عثمان، عادل المدفع، عبد العزيز الرستماني، محمد صالح بداه وغيرهم.

واختتمت الجلسة بحوارات عدة شارك فيها عدد من الحضور، كان من أبرزها تساؤل محمد الدراجي عن الحقيقة العلمية في الحكايات الخرافية بالتراث الشعبي. فأجابه المحاضر: هو سؤال مهم، لكن هذه الحكايات، تبقى موروثاً شعبياً، رغم كل ما لحق بها من تضخيم وإضافات، وأعتقد أنها لا تتعارض مع بعض الحقائق العلمية.

أما الدكتورة مريم مطر فتحدثت عن تأثير الجينات في كثير من شخصيات الحكايات الخرافية، وطالبت بتشكيل لجنة لدراسة تأثير الجينات في الكائنات الخرافية في التراث الإماراتي.

جمال بن حويرب مكرماً المسلم

إضاءة

الدكتور عبد العزيز المسلّم، كاتب وباحث إماراتي، مستشار في التراث الثقافي، ولد في مدينة الشارقة عام 1966 ميلادي، وقد عرف باهتماماته البحثية والعلمية في التراث الثقافي الخليجي والعربي، وله جهود ملموسة في دعم الباحثين والمؤسسات المعنية بالتراث، حاصل على الدكتوراه في التاريخ والتراث من جامعة الحسن الثاني في الدار البيضاء بالمملكة المغربية.

يشغل حالياً منصب رئيس معهد الشارقة للتراث ورئيس تحرير مجلة الموروث ومجلة مراود، وهو عضو تنفيذي في عدد من المنظمات والجمعيات الدولية المعنية بالتراث الثقافي، نال جوائز وأوسمة إماراتية وخليجية، له مجموعة إصدارات في الثقافة والحكايات الخرافية والذاكرة الشعبية والشعر النبطي. تُرْجِمَت بعضُ أعماله إلى الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والإسبانية والتشيكية.

يطلب من

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

فاطمة محمد البغدادي*

قديماً قيل: المُستحيلات ثلاثة؛ أوَّلها الغول، وثانيها العنقاء، وثالثها الخِلُّ الوفيُّ.. يقول الشاعر:

لمَّا رأيت بني الزمان، وما بهم

خِـلٌّ وفـيٌّ للشـدائد أصطفي

أيقــنت أنَّ المُسـتحيل ثلاثــة

الغول والعنقاء والخِلُّ الوفي

وبعيداً عن الجدلية، في النظرة التشاؤمية للشاعر، تجاه خِله غير الوفي، فإننا نتَّجه مُباشرةً للعنقاء، أسطورة الطيور، محور حديثنا، والتي نُسِجَ حولها الكثير من القصص والحكايات الخُرافية، عبر التاريخ، ليس من قِبَل العرب وكفى، بل وفي حضارات المُجتمعات والشعوب الأُخرى. فماذا عن طائر العنقاء الأسطوري؟ وما هي أهم القصص والحكايات التي نُسِجَت حوله في الموروث الشعبي عند العرب، وعند المُجتمعات والشعوب الأخرى؟

في اللغة

في اللاتينية، يُطلَق على طائر العنقاء، الفينكس the bird phoenix، **وفي اللغة الفارسية**، هو القنوس، أو القنس، وقِيل بل هو السيمرغ، وهي كلمة من مقطعين، الأوَّل (سي)، وتعني (ثلاثون)، و(مرغ)، وتعني (طائر)، ومن ثمَّ يتشكَّل من المجموعة (ثلاثون طائراً)، **وفي اليابانية**، هو (وهو ـ أوو)، **وفي الصينية**، هو (فينج هيوانج)، وتتعدَّد أسماؤه في اللُّغات الأخرى.

بينما في لُغة الضاد: العنقاء، أصلاً مؤنث الأعنق، والكلمة عربية صحيحة، يقول الأصمعي: «رجل أعنق: أي طويل العُنق، ومُعنق أيضاً.. وفي المُعجم الجامع: عنقاءُ (اسم). عنقاءُ: فاعل، من عَنِقَ... عنقاءُ: مؤنث أعْنَقُ. أعْنَقُ (اسم)، والجمع: عُنْق، والمؤنث: عنقاءُ، والجمع للمؤنث: عنقاوات... وعُنُق، صِفة مشبَّهة تدلّ على الثبوت، من عنِق... لا أعْنَقَ مِنْهُ، أي لا أحَدَ أطْوَلُ مِنْهُ عُنُقاً».

وفي معجم الرائد، ورد: عنقاء، مؤنث. وأعنُق: جمع عُنق.. وعنقاء: داهية، و«تلة عنقاء»، أي مُرتفعة طويلة.. وفي لسان العرب، يقول ابن منظور: العنقاء، طائر ضخم، ليس بالعقاب.. وقال الدوسي (كراع النمل): العنقاء، كما يزعمون طائر، يكون عند مغرب الشمس. وأورد الزجاج: العنقاء المُغرب، طائر لم يره أحد.

وفي كتاب العين، العنقاء: طائر لم يبقَ في أيدي الناس من صنفها غير اسمها. وفي معجم الأمثال والحكم للميداني: حلَّقت به عنقاء مغرب، (مثل): يُضرب لما يُئس منه، والعنقاء طائر عظيم، معروف الاسم، مجهول الجسم، وأغرب: أي صار غريباً، وجاء وصف هذا الطائر بالمغرب، لبُعده عن الناس، ولم يؤنثوا صفته؛ لأنَّ العنقاء اسم، يقع على الذكر والأنثى، كالدابة، والحيَّة، ويُقال: عنقاء مغرب على الصِّفة، ومغرب على الإضافة. وقال الخليل بن أحمد الفراهيدي: سُمِّيت عنقاء، لأنه كان في عنقها بياض كالطوق، ويُقال لطول عُنقها... وفي مُفردات اللغة للأصفهاني ورد: وعَنْقَاءُ مُغْرِبٌ، وُصِفَ بذلك، لأنهُ يقالُ كان طَيراً تَنَاوَلَ جَارِيَةً، فأغْرَب بها، ويقول مجد الدين الفيروز أبادي، في قاموسه المحيط: عنقاء مغرب (على الوصف)، وعنقاء مغرب (على الإضافة).

وصف العنقاء عند العرب

لقد تحدَّثت الكثير من مؤلَّفات التراث العربي عن العنقاء، وذكرت أوصافها، وعددت خصائصها، ففي كتابه «عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات»، يقول القزويني: «إنه أعظم الطيور جُثة، وأكبرها خِلقة، تخطف الفيل، كما تخطَّت الحدأة الفأر». بينما ذكرها الثعلبي، في كتابه الموسوم «العرائس»، قائلاً: «إنَّ العنقاء كانت في كِبر الجَمَل عِظَماً، ووجهها وجه إنسان، ويداها يد إنسان، وثدياها ثدي امرأة، وأصابعها كذلك. إنها كانت تسكن جبلاً مُصعداً إلى السماء ميلاً، تبيت فيه، وهي كأعظم ما يكون

نسج العرب القُدامى العديد من الحكايات الأسطورية التي يغلب عليها الطابع المُغامراتي والتشويقي

الطير، وفيها من كُل لون».

وأطال الدميري في كلامه عنها، من خلال كتابه «حياة الحيوان الكبرى»، ومما قاله في وصفها: «إنَّ العنقاء قد انقطع نسلها، فلا توجد اليوم في الدنيا. إنَّ الله خلقها في زمن موسى، وكان لها أربعة أجنحة من كُلِّ جانب، ووجه كوجه الإنسان، وأعطاها من كلِّ شيء قسطاً.. إنَّ لها بطناً كبطن الثور، وعِظاماً كعظام السبع».

وقد قيل إنَّ موطنه الأصلي شبه الجزيرة العربية، وتحديداً في أقصى جنوبها، في اليمن، وإنه يمتاز بالجمال والقوُّة، وإنه يعمر 500 سنة. وفي مصادر أخرى يعمر ألفاً وسبعمائة سنة، وعند طيرانه يُسمع لأجنحته دويّ كدوّي الرعد القاصف، وإنه بعد انقضاء سنوات عُمره، وعندما يوشك على الموت، يترك موطنه، ويسعى صوب فينيقيا، وهي إحدى مناطق الشام، ليختار نخلة شاهقة، ويبني له عشاً على قمَّتها، ويموت حرقاً، بعد أن يُضرم في عشه النار، ومن رماده، يخرج مخلوق جديد، في هيئة الدودة الضخمة، ناصعة البياض، لونها كلون اللبَن، تتحوَّل بعد فترة إلى شرنقة، ويخرج من هذه الشرنقة طائر عنقاء جديد، يطير عائداً إلى موطنه الأصلي، في بلاد الشرق السعيد.

حكايات عربية

وحول طائر العنقاء، نسج العرب القُدامى، العديد من الحكايات الأسطورية، التي يغلب عليها الطابع المُغامراتي والتشويقي، خاصة ما يتعلق منها بحكايات ألف ليلة وليلة، حيث كان له مع السندباد الكثير من المواقف المشوِّقة، في رحلاته الخيالية، إلى الجُزر البعيدة. وقد جاء وصفه بأنه «طائر عملاق، يملك رأساً، وجناحي نسر، ويبلغ طول جناحيه عشرة آلاف باع، وهو قوي للغاية، ويُقال إنه قادر على حمل فيل عملاق بمخالبه».

ومِما يحكيه العرب القدامى، عن هذا الطائر الأسطوري، أنه كان يقع على فريسته مُنقضاً، حيث ينقضُّ على الطير أثناء طيرانه فيأكله، كما ينقضُّ على الفرائس التي تدبُّ في الأرض، وذات يوم انقضَّ على صبي فذهب به، فسُمِّي طائر العنقاء مُغرباً لكونه يغرب بكل ما يأخذه. ومما يحكيه ابن الكلبي، ونقله عنه غير واحد من الحكائين العرب: أنَّ أهل الرسِّ كان من بينهم رجلٌ حكيمٌ، بلغ احترام قومه له مبلغاً عظيماً، إلى حد أنهم جعلوه مبعوثاً ونبياً، يأخذون عنه، ويتَّبعون تعاليمه، يُدعى حنظلة بن صفوان، وكان بأرضهم جبل، يُقال له (دمخ)، مُصعد في السماء، وكان يأتيه طائر عظيم، لها عُنق طويلة، وهي من أحسن الطيور، فيها من كل لون، وكانت تقع مُنتصبة، فانقضت على جارية ترعرعت وضمَّتها إلى جناحين لها صغيرين، سوى جناحيها الكبيرين، ثمَّ طارت بها، فأسرع نفر من القوم، إلى حنظلة، وشكوا له مما حدث، فقال (داعياً): اللهم خُذها، واقطع نسلها، وسلِّط عليها آفة، فأصابتها صاعقة، واحترقت.

وعند الفردوسي، في (الشاهنامة)، تؤدي العنقاء دوراً بطولياً، في صداقتها لـ(زال)، ودوراً مُعادياً لـ(اسفنديار)، فهي تُغذِّي (زال)، وتُربِّيه بين أفراخها، في طفولته، وحين يبلغ أشدَّه، ترسله إلى أبيه (سام)، بعد أن تُزوِّده بريشه من جناحيها، لتكون وسيلة اتصاله بها.

وفي ملحمة «منطق الطير»، للعطار النيسابوري (ت 627هـ)، نجد الهُدهد يلعب دور زعيم الطيور، الذي يُكافح من أجل اجتياز الوديان السبعة، ثمَّ الوصول إلى الزعيم الأكبر العنقاء بجبل قاف. وقد ورد للعنقاء ذِكر في واحدة من رسائل إخوان الصفا، وهي رسالة «تداعي الحيوانات على الإنسان»، حيث ورد أنَّ العنقاء هي زعيمة الجوارح من الطيور، ويجلس معها النسور والعقبان والصقور، بينما يجلس «السيمرغ»، زعيم الطيور الأقل رُتبة، مع الطاووس والديك والحمام.

ويذكره الجاحظ، في كتابه «الحيوان»، مُشيراً إلى أنَّ «العرب إذا قالت بهلاك شيء، وبطلانه، قالت: حلقت به في الجو عنقاء مغرب». وقد جاء ذكره في رحلة ابن بطوطة، وتُحفة الدهر للدمشقي، وابن سيده وغيرهم. وذكر الدمشقي، أنه كان يؤتى بريشُه إلى عدن، ولم يعد له وجود الآن، وأنَّ القدماء أضفوا

حظي طائر العنقاء بمكانة كبيرة في الموروث المصري القديم من خلال الحفريات الأثرية والجداريات التي تعود إلى الأُسر الفرعونية القديمة

عليه كثيراً من الصفات الخُرافية. وكان محمد بن إسحاق بن أبي العنبس (275هـ - 888م)، قاضي الصيمرة في الكوفة، وهو شاعر من أهل الفكاهة، أديباً عارفاً بالنجوم، قد وضع كتاباً بعنوان «عنقاء مغرب»، أسهب فيه بالحديث عن حكايات العرب عن هذا الطائر الخرافي.

وحول العنقاء في الرؤية والأحلام، يقول الدميري، في «حياة الحيوان الكبرى»: «العنقاء في المنام، رجل رفيع مبتدع، لا يصحب أحداً، ومن رأى العنقاء كلَّمته، نال رِزقاً من قِبل الخليفة، وربما يصير وزيراً، ومن ركب العنقاء، غلب شخصاً لا يكون له نظير، ومن صادها، فإنه يتزوَّج بامرأة جميلة، ورُبَّما تُعبِّر العنقاء بولد ذكر شُجاع، لمن أخذها وله امرأة حامل، والله أعلم».

عند قدماء المصريين

وقد حظي طائر العنقاء الأسطوري، بمكانة كبيرة في الموروث المصري القديم، حيث تُبرزه بعض المصادر المخطوطة، وكذا الحفريات الأثرية، والجداريات التي تعود إلى الأُسر الفرعونية القديمة، وهو يحمل بقايا جسده القديم، ليُقدِّمه إلى مذبح الشمس، ويُلقي بالتحية، وهو يرفرف بجناحيه، إلى جموع المصريين، الذين احتشدوا لرؤيته.. وفي رواية يهبط مُباشرة إلى معبد (رع)، وينتصب رافعاً جناحيه إلى أعلى، ثمَّ يُصفِّق بهما تصفيقاً حاداً، وما هي سوى لمحة، حتى يلتهب الجناحان، فيبدوان وكأنهما مروحة من نار، ومن وسط الرماد الذي يتخلَّف، يخرج طائر جديد، فائق الشبه بالقديم، يُعاود الطيران من فوره، وبأوامر من إله الشمس، إلى حيث موطنه الأصلي، في بلاد الشرق.

وفي رواية ثالثة، ورد: لَم يكن في العالم سوى طائر فينيقٍ واحد، وكان يسكن الجَنة، وهي أرض جمال لا توصف، وهي الرابضة خلف الأُفُق البعيد، الذي منه تشرق الشمس بهدوء، بعد ألف سنة، أصبح الطائر يرزح تَحت وطأة عُمره الطويل، وقد دنت ساعة موته. ولأنَّ في العالَم الأرضي موتاً، على عكس الجنة، التي اكتسب منها المُقدَّرات السماوية والحكمة، شقَّ طريقه إلى الأرض، فقطع البحار والجبال والسهول، حتى استوقفته رائحة اللبان والبخور

الصنوبري، المنبعثة من جبال فينيقيا، فبنى عِشَّه على أعلى شجرة أرز، وزوَّده اللبان والمُر والعنبر، وفي الصباح، عندما لاحت خيوط الشمس، شاهد شروقاً، لم يبصر له نظيراً في جماله، خلال جميع أسفاره، فبدأ ينشد الأغاني السماوية، بصوته العذب الملائكي، وعندما سمعه إله الشمس، خرج إليه، وهو على عربته، التي تجرُّها أربعة أحصنة نارية، ليشكره، وأراد أيضاً، عند طلبه، أن يريه آلام الناس وعذاباتهم، نقل إله الشمس لطائر الفينيق صورة حيَّة وحسِّية عن الحياة الأرضية، بدأ الطائر الألفي في الصراخ من الغضب والألم، لِما أحسَّ به من عذاب وظُلم بين الشعوب، وبدأ يضرب بجناحيه داخل العش، أجفلت الأحصنة، وضربت بحوافرها الأرض بقوَّة، فطارت شرارات نارية إلى العشِّ، كانت كافية لإحراق الفينيق في داخله، لم يُغادر طائر الفينيق عشَّه، فاحترق باختياره، مُشاركاً الشعب في آلامه وعذاباته، وتحوَّل إلى رماد، لكن لم تكن هذه نهاية الفينيق، بل البداية، حيث خرجت بيضة من تحت الرماد، وفي اليوم الأوَّل كبرت، وفي الثاني خرج منها جناحان، وفي اليوم الثالث عاد الفينيق حياً، حمل الطائر عشَّه البخوري، وطار به، ليقدّمه على مذبح الإله، ليضعه قرباناً في معبد الشمس، بانتظار أن يأتي زمن موته الجديد، فيحترق ليولَد من رماده طائر

ارتبط طائر العنقاء بعقيدة الخلود التي كانت موجودة بقوَّة في حضارة قدماء المصريين

فينيقٍ جديد. وبحسب المُعتقد الديني عند الفراعنة، فقد ورد في نشيد الإله رع، ما نصه: «المجد له في الهيكل، عندما ينهض من بيت النار، الآلة كلها تحب أريجه، عندما يقترب من بلاد العرب، هو رب الندى، عندما يأتي من ماتان، ها هو يدنو بجماله اللامع من فينيقيا، محفوفاً بالآلة».

لقد ارتبط طائر العنقاء، بعقيدة الخلود، التي كانت موجودة بقوَّة في حضارة قدماء المصريين، وفي العهود المُتأخِّرة من الحضارة المصرية القديمة، رُمز للعنقاء بطائر البلشون (مالك الحزين)، الذي ظهر على بعض الجداريات المصرية، باسم الطائر المقدس (بينو) Bennu، وربما يكون هذا الاسم مُستخرَجاً من كلمة Weben، التي تعني الارتفاع والتأنق، وكان فريق من علماء الآثار، قد عثروا على بقايا طائر في هيئة البلشون، إلا أنه أضخم منه بكثير، ويفوق في الحجم جد طيور البلشون الضخمة، التي كانت تعيش في منطقة الخليج العربي، مُنذ ما يزيد على 5000 سنة قبل الميلاد؟!

ولم يكن طائر العنقاء الأسطوري، مُرتبطاً عند المصريين القدماء بالإله رع وكفى، ولكن ربطه البعض أيضاً بـ«أوزوريس»، حيث استُخدِم كرمز لشروق الشمس، كما كان له ارتباط عند المصريين القدماء بفيضان النيل، وعقيدة البعث والخلق، حيث نجد له صوراً جدارية، واقفاً وحده على الصخور المعزولة من الجُزر والأراضي المُرتفعة، خلال موسم الفيضان النيلي، ليُمثل بداية الحياة الجديدة، على تلك الأماكن التي غمرها الفيضان.

وفي مُصنَّفه الموسوم «بغية الطالبين في علوم وعوائد وصنائع وأحوال قدماء المصريين»، يُشير أحمد بك كمال، إلى أنَّ أقدم تصوير مزعوم للعنقاء، هو ما وجد على مقابر الفراعنة في مصر، وقال: إنَّ العنقاء ربما كانت تُسمّى في اللغة المصرية القديمة «ساج»، ونقل عن ماسبر في كتابه «القراءات التاريخية»، ما ترجمته: «زعم المصريون القدماء أنَّ الصحراء هي مرعى لجميع الحيوانات الخُرافية الضاربة، التي تُصادفها القبائل، كالصنف الخُرافي المعروف بالعنقاء، التي جسمها جسم ابن آوى، ورأسها رأس نسر، ولها سبعة أبزاز».

عند الإغريق والرومان

ولكونهما قريبتي الصِلة والاتصال بالحضارة المصرية القديمة، فقد ظهر تأثر وتأثير كل من الحضارتين الإغريقية والرومانية، بالموروث المصري، حول أسطورة العنقاء، التي تُسمّى عند الرومان «الفينيق»، نِسبة إلى مدينة فينيقيا، وفي اللغة اليونانية القديمة كانت تسمى «الفينكس»، وهي كلمة تعني نوعاً باسقاً من أشجار النخيل، وقيل إنَّ اسمه مأخوذ من Phoinos، والتي تعني الأحمر الأرجواني. وأوَّل ذِكر لهذا الطائر الأسطوري، في حضارة الإغريق، ورد في أحد أشعار هيسود Hesiod، وذلك في القرن الثامن قبل الميلاد، ولكن ذُكِر بتفصيل أكبر من قِبل المؤرِّخ والشاعر الشهير هيرودوت Herodotus، الذي تحدَّث عن هذا الطائر الأسطوري، إبان القرن الخامس قبل الميلاد، ومما ذكره: أنَّ الفينكس يأتي كل 500 سنة، لكي يُفتِّش عن جسد سلفه، حيث إنه -وفقاً للأسطورة الإغريقية- بعد أن يضع بيضته، يطرح جسد سلفه بداخلها، ثمَّ يأخذها مُتجهاً بها إلى معبد الشمس في مصر، لإجراء الطقوس، قبل أن يُغادرَ إلى موطنه الأصلي. وشبيه لذلك كتب العديد من المؤرخين والفلاسفة، وهذا أحدهم يقول: هو طائر ضخم، جسده في هيئة الحيوان، وله منقار، وجناحان كبيران، ورقبة طويلة، ووجه قريب الشبه بوجه البشر.. وفي كتابه «النعوت»، تحدث أرسطو طاليس، عن هذا الطائر الخُرافي، كما لو كان طيراً حقيقياً، يُمكن صيده، والاستفادة من أجزائه، فيقول: قد تُصاد، فيُصنع من مخالبها أقداح عظام للشرب. ويُتابع مُتسائلاً، ومُجيباً في نفس الوقت: وكيف صيدها؟ إنهم يوقفون ثورين، ويجعلون بينهما عجلة، ويثقلونها بالحجارة العظام، ويجعلون بين يدي العجلة بيتاً، يختبئ فيه رجلٌ، معه نار، فتنزل العنقاء على الثورين، لتخطفهما، فإذا نشبت أظفارها في الثورين، أو أحدهما، لم تقدر على اقتلاعهما، لِما عليهما من الحجارة الثقيلة، ولم تقدر على الاستقلال، لتخلِّص مخالبها، فيخرج الرجل بالنار، فيحرق أجنحتها.

وكان أوَّل مسيحي يُترجم أسطورة العنقاء، ويتحدّث عنها بشيء من التفصيل، كرمز لفكرة البعث بعد الموت، هو كليمنت الروماني.. لقد حظي هذا الطائر الأسطوري بمكانة كبيرة عند

زعم المصريون القدماء أنَّ الصحراء هي مرعى لجميع الحيوانات الخُرافية كالعنقاء التي جسمها جسم ابن آوى ورأسها رأس نسر

الرومان، حيث ذُكِر في العديد من كتابات المشاهير، من الشعراء والأدباء والفلاسفة، وفي حديثه عنه، يقول المؤرخ الشهير بليني Pliny: إنَّ طائر الفينيق يعيش في شبه الجزيرة العربية 540 عاماً، وبعد ذلك يموت في عِشّه، وتنبعث منه رائحة عطرة، ومن نخاع عظامه، تخرج دودة، يظهر منها طائر فينيق جديد.. وقد اتُّخِذ رمزاً لمدينة روما، التي كان يُنظر إليها باعتبارها مدينة عصيَّة على الموت، كما ظهرت صورته على العُملات المعدنية، التي كان يتمَّ التداول بها في الدولة الرومانية.

وفي الموروث الشعبي الروماني، يقول الحكّاؤون الذين عاشوا في القرن الرابع الميلادي، ومنهم كلاوديانوس: هناك في بلاد الشرق السعيد البعيد، تفتح بوَّابة السماء الضخمة، وتسكب الشمس نورها من خلالها، وتوجد خلف البوابة، شجرة دائمة الخضرة.. مكان كُله جمال، لا تسكنه أمراض، ولا شيخوخة، ولا موت، ولا أعمال رديئة، ولا خوف، ولا حُزن، وفي هذا البُستان يسكن طائر واحد فقط، الفينكس ذو المنقار الطويل المُستقيم، والرأس التي تُزيِّنها ريشتان مُمتدتان إلى الخلف، وعندما يستيقظ الفينكس، يبدأ الغِناء بصوت رائع.

وفي كتابه «قيامة الأجساد»، ذكر ترتليان، حكايات هذا الطائر الأسطوري، مُستخدِماً إياه كرمز للقيامة، وكان الشاعر لاكتانيوس، قد ألَّف قصيدة طويلة، بعنوان (طائر العنقاء)، هذا هو ختامها: «أيها الطائر، ذو القَدَر والنصيب السعيد، الذي أعطاه الله نفسه أن يولد من ذاته، شهوتها، ومسرَّتها الوحيدة في الموت، كي بهذا تولد، هي التي رغبت قبلاً في أن تموت، فربحت الحياة الأبدية، ببركة الموت».

وقد تجلَّت هذه الأسطورة، خِلال نفس الفترة تقريباً، في تحوُّلات أوفيد (ببليوس، أوفيديوس ناسو)، الذي استكمل النسخة الرومانية لهذه الأسطورة، جاعلاً من الفينيق، طائراً خالداً، تتكوَّن حياته من 500 دورة مُتعاقبة، بنهاية كل واحدة منها، يبني الفينيق عِشاً، على رؤوس أشجار النخيل، من نباتات المُرّ والقرفة والتوابل الأُخرى، ويشتعل العش بفعل أشعة الشمس، ويحترق الفينيق في النار، ومن رماده يخرج آخر صغير، يعيش 500 سنة لاحقة، وحين يشتد عوده، يحمل رماد أجداده، إلى معبد مدينة الشمس... وقد ازداد ذِكر طائر الفينيق في القرون اللاحقة بشكل كبير.

في الصين

وبالرغم من أنَّ أصل أسطورتها في الشرق الأدنى (شبه الجزيرة العربية، وما حولها)، فإنَّ حضارات الشرق الأقصى عرفت العنقاء على نحو كبير، وفي الموروث الشعبي الصيني، ثمة جماعة من الحكائين، الذين نسجوا حكايات عن أسطورة هذا الطائر، الذي تجتمع فيه صفات جمال الإنسان والحيوان والطير.. لقد كان الصينيون ينظرون إليه، في بعض الحِقب التاريخية، باعتباره واحداً من أربعة مخلوقات روحانية، هي التنين، والعنقاء، والتشلين (وحيد القرن الصيني)، والسلحفاة.. وفي بعض المناطق من المعمورة الصينية، كانت المُجتمعات المحليَّة، تعبُد العنقاء، وتصنع لها التماثيل، لتجلب البركة والحظ السعيد، وقد تباينت أوصاف العنقاء في المؤلَّفات الصينية القديمة، من حقبة تاريخية إلى أخرى، بل ومن منطقة إلى أخرى، وأكثر التفاصيل الوصفية لها، وردت في مخطوطة تاريخية، بعنوان «أريا»، يقول صاحبها، ويُدعى قه يو، واصفاً العنقاء: «رأسها رأس ديك، وعُنقها أفعى، وفمها فم عصفور، وظهرها ظهر سُلحفاة، ولها ذيل كذيل السمكة، وألوانها مُتعددة ورائعة، وطولها يصل إلى ستة تشي (أي نحو مترين)». وفي مخطوطة بعنوان «شرح النصوص والكلمات»، ذكر المؤرخ شوي شن، من أُسرة هان الملكية: «إنَّ العنقاء نشأت في بلاد الشرق البعيد، وهي تطير في أنحاء العالم، وتشرب مياه البحر، وتنام في كهف بالليل، وإذا رآها شخص، فإنه محظوظ، على مدار سنوات عمره، وإنَّ بلده تظل تنعم بالسلام والاستقرار».

وفي مخطوطة صينية شهيرة، مجهولة المؤلِّف، بعنوان «أساطير الجبال والبحور»، ورد أنَّ عُروق الريش على رأس العنقاء، تُشكِّل كلمة «أخلاق»، وعلى الجناحين تُشكِّل كلمة «طاعة»، وعلى الظهر تشكل كلمة «إخلاص»، وعلى البطن تشكل كلمة «صدق»، بينما

اسم الفينيق أُطْلِقَ على العنقاء نسبة إلى مدينة فينيقيا وفي اليونانية القديمة الفينكس التي تعني نوعاً باسقاً من أشجار النخيل

تشكِّل عروق الريش على الذيل، كلمة «رحمة». وتذهب بعض المؤلفات الصينية القديمة، في وصفها للعنقاء، وكأنها تصف الطاووس، في حين ثمة من يصفها وكأنه يصف الديك البري الذهبي، أو طائر الكركي. وفي مؤلَّفات أخرى، يخلطون بينها وبين طائر الرُّخ، وهو أيضاً طائر خُرافي بحري، إلّا أنهم كانوا يُفرِّقون بينهما في الاسم، ومن ذلك ما كتبه تشوانغ تسي، في مُصنَّفه «الفلسفة الطاوية»، حيث قال: «يوجد طائر رُخ، وما هو برُخ، اسمه بنغ، ظهره ضخم، مثل جبل تاي شان، وجناحاه واسعان، مثل سحابتين سقطتا من السماء، ويطير تسعة آلاف ميل في السماء، ويجتاز السحاب». ومثل ذلك كتب سونغ يون يو، من أسرة هان الملكية، ويُضيف عليه، في مُصنَّفه (سؤال وجواب)، قائلاً: «يطير العنقاء تسعة آلاف ميل، من الأرض إلى السماء، ويجتاز السُحب، ويحط على قُبة السماء». وفي الأساطير الصينية: تبني العنقاء عِشَّها، وتسكن، على قِمَّة شجرة الباولونيا، وعندما تظهر للناس، فإنَّ ذلك بمثابة بُشرى لمولد حاكم فاضل، وعلامة لعصر جديد مُزدهر، سوف تشهده البلاد.

وكانت الإمبراطورة، تتخذ من صورة هذا الطائر، تميمة لها، للحفاظ على أنوثتها، وحياتها، والإبقاء على مُلكِها، وزواجها السعيد، فيما يتَّخذ الإمبراطور، التنين تميمة له.. وكانت الأسرة الحاكمة تضع صورة العنقاء في شاراتها ورياتها، رمزاً للشمس والعدالة والإخلاص والطاعة.

وفي بعض العصور، كانت العنقاء مُتفوقة في المكانة على التنين، وصارت جنباً إلى جنب معه، كرمز للأمة الصينية، في بعد الفترات.. وفي دراسة قيِّمة، لعالم الأنثروبولوجيا والأديب الصيني المشهور وون إي دوا، حول أسطورة العنقاء، في الصين الشعبية، ورد: أنَّ طائر الخُطَّاف البحري، هو أحد الإلهامات الأصلية لصورة العنقاء، وفي قديم الزمان احتلت العنقاء مكانة رفيعة، فاقت مكانة التنين، حيث جاءت مُتقدِّمة في جل الرسومات الجدارية، وكذا الحريرية، إبان أسرة هان الملكية، وفي بعض هذه الرسومات، ظهرت العنقاء وهي تنقر التنين، وأنه خِلال تطوُّر المُجتمع الإقطاعي الطويل، تغيَّرت مكانة العنقاء والتنين رويداً رويداً، حيث أصبح التنين رمزاً للأباطرة، فيما نزل طائر العنقاء إلى المرتبة الثانية، وأصبح رمزاً إلى محظيات الأباطرة، وفي عهد أُسرة تشينغ الملكية، بدأت صورة طائر العنقاء المحبوب لدى أبناء الشعب الصيني، تنتشر وسطهم، حيث اعتاد عامة الناس، استخدام كلمة العنقاء، في تسمية بعض الأطعمة، والملابس، والمباني الفاخرة، وكذا أطلقوها على بعض المُناسبات السعيدة، وغيرها من نواحي الحياة، كما أنهم أطلقوا على بعض الفنانات الجميلات اسم العنقاء، ويُمكن العثور على حكايات وقصص ولطائف العنقاء، في كثير من كُتب الأدب، وكذلك الأعمال الفنيَّة التشكيلية، والمسرحية، والسينمائية، والموسيقية... وفي رثاء الأعزاء، وتخليد ذكراهم، استشهد بها طائفة كبيرة من الشُعراء، والحكّائين الشعبيين، الذين أكثروا من الحديث عنها، في الملاحم، والبطولات الشعبية.

خاتمة:

على الرغم من ادعاءات بعض الناس، عبر التاريخ، أنهم شاهدوا العنقاء، وهو يحلِّق في الأجواء، بل إنه ما بين عامي 1982م و1983م، ادَّعى غير واحد من سُكَّان منطقة برادفورد في إنجلترا، أنهم شاهدوا طيوراً ضخمة، بحجم طائرة رُكاب صغيرة، وأنهم لم يروا مثيلاً لها من قبل، وأيَّدهم في ذلك صحفي في جريدة التلغراف، يُدعى مايك بريستلي، بل وزاد أنه التقط صوراً لها (تبيَّن أن هذه الصور، كانت مُجرَّد سحابة عابرة، أخذت هيئة طائر ضخم)، وكذا ما ادَّعاه بعض السُكَّان في انكوراج (عاصمة ألاسكا)، أنهم رأوا طائراً بحجم طائرة بوينج، وكذا ما ادعاه بعض الأفراد، من سُكَّان تونبيري ويوركشاير وشمال مانشستر في بريطانيا، أنهم رأوا طيوراً ضخمة، حجبت ضوء الشمس، ما دفع بعض المُحررين في وكالة رويتر للأنباء، إلى التحرِّي عن هذه الادعاءات، ونشروا تقريراً حول ذلك، استشرفوا فيه آراء عدد من كِبار العُلماء والباحثين، الذين شككوا في الراويات.. فإننا نقول: على الرغم من كل ذلك، تظلُّ العنقاء أسطورة الطيور، ورمزاً من أهم الرموز، في الموروث الشعبي، عند جلِّ أمم وشعوب البسيطة.

* **كاتبة وباحثة مصرية**

أهـم المصـادر والمراجــع

أوَّلاً - المصـــادر:

- **ابن منظور:** محمد بن مكرم: لسان العرب - دار صادر - بيروت (بدون تاريخ).
- **ابن دريد:** محمد بن حسن: جمهرة اللغة - طبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد 1345هـ.
- **ابن زكريا، أبو الحسين أحمد بن فارس:** معجم مقاييس اللغة - تحقيق عبدالسلام محمد هارون - الناشر دار الفكر - دمشق 1399هـ/ 1979م.
- **الدميري، كمال الدين محمد بن موسى:** حياة الحيوان الكُبرى - دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر - دمشق 1992م.
- **القزويني، زكريا بن محمد بن محمود الكوفي:** عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات - منشورات الأعلمي للمطبوعات - الطبعة الأولى - بيروت 1421هـ/ 2000م.
- **الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري:** عرائس المجالس - مكتبة الجمهورية العربية بالأزهر - القاهرة (بدون تاريخ).
- **الفردوسي، الحكيم أبو القاسم:** كتاب التيجان (الشاهنامة) - ترجمة الدكتور عبد الوهاب عزام - الطبع الأولى - دار الكتب المصرية - القاهرة 1350هـ/ 1932م.
- **النيسابوري، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني:** مجمع الأمثال والحكم - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - دار الفكر - الطبعة الثالثة - دمشق 1972م.
- **إخوان الصفا:** رسائل إخوان الصفا وخلان الألفة والوفا (رسالة تداعي الحيوانات على الإنسان) - تحقيق خير الدين الزركلي - المكتبة التجارية - القاهرة 1928م.
- **الجاحظ، عمرو بن بحر:** كتاب الحيوان - تحقيق عبد السلام هارون - دار الجيل - بيروت 1996م.
- **الفيروز أبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب:** القاموس المُحيط - الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع - الطبعة الثامنة - بيروت 1426هـ/ 2005م.
- **الفراهيدي، أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد:** كتاب العين - دار الكتب العلمية - بيروت 1424هـ/ 2003م.
- **الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد:** مُفردات اللغة - الدار الشامية، ودار القلم - دمشق 1430هـ/ 2009م.
- **النيسابوري، فريد الدين العطار:** منطق الطير - ترجمة بديع محمد جمعة - آفاق للنشر والتوزيع - الطبعة الأولى - القاهرة 2014م.

ثانيـاً - المراجـع العربيـة:

- **عـوض، ريتـا:** أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث - الطبعة الأولى - المؤسسة

أهـم المصـادر والمراجــع

العربيـة للدراسـات والنشـر - بيـروت 1978م.

- **حلاوي، يوسف:** الأسطورة في الشعر العربي المعاصر - دار الآداب - الطبعة الأولى - بيروت 1994م.
- **خليل، أحمد خليل:** معجم الرموز - دار الفكر اللبناني - بيروت 1995م.
- **النميري، حسن محمود موسى:** دنيا الحيوان في التراث العربي - الجُزء الثاني - منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب - دمشق 2008م.
- **ذكي، أحمد كمال:** الأساطير، دراسة حضارية مقارنة - مكتبة الشباب - القاهرة 1975م.
- **المصري، حسين مجيب:** الأسـطورة بيـن العـرب والفـرس والتّـرك - مكتبـة الأنجلـو المصريـة - القاهـرة 1991م.
- **كمال، أحمد بك:** بغيـة الطالبيـن فـي علـوم وعوائـد وصنائـع قدمـاء المصرييـن - طبعـة مدرسـة الفنـون والصنائـع الخديويـة - بـولاق - القاهـرة 1309هـ.
- **العبـودي، محمـد بـن ناصـر:** مُعجـم الحيـوان عنـد العامَّـة - الجُـزء الثانـي - مكتبـة الملـك فهـد الوطنيـة - الريـاض 1432هـ/ 2011م.

ثالثـاً - الدوريـات:

- **جعفر، إحسان:** أسطورة العنقاء في الأدب والأمثال - مجلة الفيصل - شهرية - العدد 118 - ربيع الآخر 1407هـ/ ديسمبر 1986م - تصدر في الرياض (الملكة العربية السعودية).

رابعـاً - المراجـع الأجنبيـة:

- **Cassirer, Ernst. An Essay on Man:** An Introduction to a Philosophy of Human Culture, Yale University Press: New Haven, 1944.
- **Firth, Raymond, ed. Man and Culture:** An Evaluation of the Work of Bronislaw Malinowski. London: Routledge and Kegan Paul, 1963.
- **Agnes, Michael, ed.:** Webster's New World Dictionary, New York-London: Pocket Books, Fourth Edition, 2003.

تركز على معركة عجلان الفاصلة بين قوات الشريف حسين وأتباع محمد الإدريسي

محافظة القنفدة في «الرحلة اليمانية»

تأريخ محفوف بالمبالغات

أ.د. أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي*

يعدُّ كتاب «الرحلة اليمانية» لمؤلفه الشريف شرف بن عبد المحسن بن حازم البركاتي من أقدم وأشهر ما كتب في تاريخ الرحلات في زمانها، والتي خرجت من مكة المكرمة إلى أبها، مروراً بالقنفدة، ثمَّ عادت إلى مكة عبر طريق آخر مروراً بالطائف. وهي تمثِّل وجهة نظر رسمية للجهة التي سار مؤلفها في ركابها بوصفه موظفاً رسميّاً من موظفي أمير مكة، ومن رجاله المقربين منه، وقد عني بدراسة هذه الرحلة المؤرخ وعضو مجلس الشورى السعودي الأستاذ الدكتور أحمد بن عمر آل عقيل الزيلعي، تمحيصاً لمعلوماتها، وتعليقاً على أحداثها، واستدراكاً على ما وقع فيه كاتبها من مآخذ ومبالغات، إذ ينبغي أن تؤخذ معلوماتها عن حملة الشريف حسين أمير مكة، التي سارت نحو أتباع الشريف محمد بن علي الإدريسي، بحذر شديد، ومع ذلك فهي لا تخلو من الفائدة والقيمة العلمية في وصفه للأودية التي قطعها، والمحطات التي توقّف فيها، وأسماء القبائل والمناهل والجبال التي اشتملت عليها. وابتغاء الاستفادة من هذه التحقيقات التي عني بها الدكتور الزيلعي، يسرُّ مجلة «مدارات ونقوش» أن تضع بين أيدي قرّائها هذه الفوائد العلمية الدقيقة التي تزيل اللثام عن واحدة من أهم المعارك والرحلات التي شهدتها منطقة الخليج العربي في بدايات القرن الماضي.

كتاب الرحلة اليمانية وعليه صورة الشريف حسين

تعدُّ «الرحلة اليمانية» من أشهر الرحلات في زمانها، ومؤلِّفها هو الشريف شرف بن عبد المحسن بن حازم البركاتي، نسبة إلى جَدِّهِ الشريف بركات الثالث بن الشريف محمد بن أبي نمي الثاني بن الشريف بركات الثاني بن محمد بن بركات، الذي ينتهي به نسبه الشريف إلى الحسن السِّبط بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه.

مؤلف الرحلة والباعث على تأليفها:

ولد الشريف شرف في قرية أبي عروة بوادي فاطمة في عام 1283هـ/ 1864م، وعاش في كنف أبيه الشريف عبد المحسن، الذي كان -حينذاك- أميراً على وادي مَرّ الظهران، أو وادي فاطمة، وتلقَّى تعليمه على طريقة أهل زمانه في كُتَّاب قريته الذي كان في مسجد جَدِّهِ الشريف حازم بن غالب بن

> استطاعت دعوة محمد الإدريسي إجلاء الأتراك عن معظم منطقة جازان ووصلت لأحواز مكة

حسين البركاتي، ثم في المسجد الحرام بمكة المشرفة، فضلاً عن أنه ثقَّف نفسه بنفسه من خلال مطالعته لكثير من الكتب المتخصصة في التاريخ والأدب، وهذا ما انعكس بوضوح على امتلاكه أسلوباً جميلاً، ولغة عربية سليمة يلحظها كل من يتتبع أسلوبه الذي صاغ به هذه الرحلة التي بين أيدينا.

كان الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي من كبار رجال الأشراف في عهد إمارة الشريف حسين بن علي (ت1350هـ/ 1931م) مكة المكرمة في أواخر العصر العثماني، وكان يوصف بجمال الخَلْق والخُلُق، وبأنه لطيف المعشر، حلو الحديث له عناية بالتاريخ والأدب، وبسعة الاطلاع فيهما.

وحينما استقل الشريف حسين بن علي بملك الحجاز عيَّنه قائمقام لإمارة مكة المكرمة في 10 محرم عام 1335هـ/ 5 نوفمبر سنة 1916م، وفي الوقت نفسه كان صاحب الترجمة يقضي بين الناس في قصر الإمارة بحضور بعض علماء مكة الشرعيّين حتى تكون الأحكام التي يصدرها موافقة للشرع الشريف، وفي 29 محرم سنة 1337هـ/ 3 نوفمبر سنة 1918م عُيِّن معتمداً للوكالة الهاشمية في القاهرة، ثم عُيّن في عهد الشريف حسين أيضاً نائباً لوكالة الخارجية في 20 رمضان عام 1338هـ/ 7 يونيو عام 1920م. وبعد زوال دولة الأشراف عمل مؤلّف الرحلة في عهد الملك عبدالعزيز (1373هـ/ 1953م) رئيساً للمراقبة الإدارية التي تحوّلت إلى لجنة التحقيق والتفتيش سنة 1349هـ/ 1930م، وتوفي، رحمه الله، في العام 1358هـ/ 1939م[1].

ملاحظات واستدراكات:

يعدُّ الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي من رجال الدولة الثقات في أثناء عمله في العهدين الهاشمي والسعودي. وما سنبديه من ملحوظات على نصّ الرحلة التي بين أيدينا، لا ينتقص من مكانة الشريف شرف، ومصداقيّته، ومقدرته العلميّة، ولا من الأهمية البحثية والفائدة العلمية التي يجنيها كل من يطالع هذه الرحلة الرائدة في بابها، وإنما هي مراجعة علميّة ومنهجيّة هدفها خدمة الدارسين والباحثين والمعرفة الإنسانية جمعاً. ومن واجب مؤلّفها علينا أن نلتمس له العذر، فهو من رجال الشريف حسين بن علي الأقربين، ويعدُّ بمنزلة مؤرخ رسمي، وما تقتضيه منه الرسمية من الرفع من معنويّات عساكر الشريف، والعساكر التركية التي كان الشريف حسين يعمل -حينذاك- تحت رايتها، وحرصه التام على كسب رضاهم من

كتاب الرحلة اليمانية

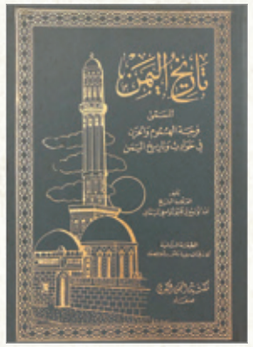

كتاب تاريخ اليمن

جهة، وتحقيق حلمه بملك الحجاز من جهة أخرى. وفضلاً عن ذلك فهو -أي مؤلف الرحلّة- جديد على المنطقة، ولم يأتِ إليها باحثاً مدقّقاً، وإنما جاء إليها في مهمة حربيّة، لعلَّ هذه الرحلة كانت بمنزلة تقرير رسمي عنها، ولا بدَّ أنَّ شيوخ القبائل وأعيانها الذين التقاهم لم يكونوا دقيقين في المعلومات التي استقاها منهم، إما جهلاً من جانبهم بالتقديرات، وإما مبالغة في الاعتداد بقبائلهم، وعدّتهم، وعتادهم، وهو ما أوقع المؤلف -رحمه الله- فيما نحن بصدده من استدراكات نأمل أن تُحمل على مَحْمَل حسن النيّة، ومُقْتَضَيَات الأمانة العلميّة.

حدود القنفدة وأهميتها:

أما محافظة القنفدة فهي من المحافظات المهمة التابعة لإمارة منطقة مكة المكرمة، وهي محافظة ساحليّة تمتد على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر، ويحدّها من الشمال محافظة اللَّيْث التابعة لإمارة مكة أيضاً، ومن الجنوب والجنوب الشرقي محافظة مَحَائِل التابعة لمنطقة عسير، ومن الشرق محافظة بَارِق، ثم محافظة المَجَارِدَة التابعتان لمنطقة عسير أيضاً، ومحافظة العُرْضِيَّات التابعة لمنطقة مكة المكرمة، ويستكمل الحدّ من الشرق والشمال الشرقي من منطقة الباحة ثلاث محافظات هي على التوالي: محافظة غَامِد الزِّنَاد، ومحافظة المُخْوَاة، ومحافظة قِلْوَة. ويحدها من الغرب البحر الأحمر.

كانت محافظة القنفدة في أثناء تلك الأحداث التي توثِّق لها الرحلة اليمانية تابعة للواء عسير، وبها قائمقام تابع لمتصرف

تعدُّ الرحلة مصدراً مهماً في توثيق أسماء الأماكن والقبائل ووصف القنفدة وتجارتها وعادات أهلها ومنازلها

لواء عسير المقيم في أبها. وبعد زوال حكم الأتراك والأشراف أصبحت القنفدة إمارة يرَأسِها، وتتبع مباشرة لوزارة الداخلية حتى انضمامها لإمارة منطقة مكة المكرمة في عام 1382هـ/1962م. وفيها حاليّاً تسعة مراكز إدارية موزّعة توزيعاً جغرافياً على قطاعات المحافظة، وترتبط ارتباطاً مباشراً بمحافظ القنفدة الذي يرتبط بدوره بأمير منطقة مكة المكرمة.

دعوة الإدريسي:

أما الباعث على الرحلة فهو قيام السيد محمد بن علي الإدريسي (ت1341هـ/ 1923م) بدعوته التي انطلقت من مسقط رأسه مدينة صَبيَا المعروفة بمنطقة جازان الحالية[2]، وموقف العثمانيين منها، ثمَّ ما أفضت إليه تلك الدعوة من تكوين دولة استطاعت إجلاء الأتراك عن معظم منطقة جازان[3]، وانتشرت دعوته ودولته في كل الاتجاهات لتصل إلى أحواز مكة القريبة منها شمالاً وشرقاً، وسيطرت على أغلب منطقة عسير، وفرضت حصاراً على أبها حيث مقر المتصرف العثماني الذي كان -حينذاك- سليمان شفيق كمالي باشا (ت1367هـ/ 1946م)[4]، فأوكلت السلطنة العثمانية التي كان على رأسها -حينذاك- محمد رشاد أو محمد الخامس (ت1336هـ/ 1918م) مهمة فك الحصار عن أبها إلى أمير مكة من قبلها الشريف الحسين بن علي الذي خرج على رأس قوة من العُرْبَان، تساندها عدة طوابير من العسكرية العثمانية النظامية على رأسها قادة عسكريون عثمانيون يحملون رتباً عسكرية سيأتي الحديث لاحقاً عن أسمائهم ورتبهم وعدد أفراد قواتهم[5].

السيد الإدريسي: ظهور دعوته وابتداء دولته:

تبدأ الرحلة اليمانية بمقدمة تحدث فيها مؤلفها عن نسب السيد الإدريسي، بقوله: هو محمد بن علي بن العالم الجليل السيد أحمد بن إدريس (ت1253هـ/ 1837م)، صاحب الطريقة الأحمدية المشهور الذي أقام بمكة المكرمة برهة من الزمان، ثمَّ انتجع منها إلى صَبْيَا بمنطقة جازان، فطاب له المقام فيها حتى وفاته مخلفاً اثنين من الأبناء هما: عبد المتعال وعلي، اللذان كانا على منهج والدهما في التقوى والعلم والتصوف، فانتشر صيتهما حتى ملأ تهامة والحجاز على حد ما يذكر صاحب الرحلة. ثمَّ تُوفي السيد علي، وترك عدة أبناء منهم كما يقول مؤلفنا: «زعيم الفتنة، ومؤجج نارها محمد بن علي الإدريسي»[6]، ويقول عنه أيضاً: «تربى هذا الناكب عن جاده سلفه بصَبْيَا، ثم قدم مكة عام 1313هـ/ 1895 م، وأقام بها عدة شهور، ثم قصد مصر لتلقي العلوم بالأزهر الشريف، وأقام بها ست سنين»[7]، ويذكر أنه اختلط في مصر ببعض المفسدين الذين حسنوا له الثورة على الدولة العليّة لكونها دولة إسلامية.

من الصور القديمة للمحافظة

آثار ناطقة بتاريخ سكانها

أحد المعالم الأثرية في القنفدة

اتهامات لا أصل لها:

وفي الرحلة كثير من الاتهامات التي ربما كانت رائجة في ذلك الوقت، والرامية إلى اتهام الإدريسي بالشعوذة والسحر، والادعاء بأنه يُوحى إليه، وبأنَّ له كرامات لا تجعل الرصاص يخترق أنصاره، وأنَّ رميهم لا يخطئ العدو مهما كان بعيداً عنهم، وأن من كراماته التي يمخرق بها على العوام أن الذئب يرعى مع الغنم دون أن يفترسها، وأن الزاني إذا ارتكب الزنى يلتصق بمن يزني بها، وأنه كان يستخدم صندوق كهرباء متصلاً بسلك إذا لمسه شيوخ القبائل تختلج أعصابهم ، فإذا صاحوا مدد يا

اتهمت «الرحلة اليمانية» الإدريسي بالكثير من الادعاءات التي لا أصل لها حتى في كتب مناوئيه

الملك عبد الله والملك فيصل ابنا الحسين

سيدنا أغثنا فصل السلك، وبطل ما كان يسببه لهم من خلجات الأعصاب، وخلاف ذلك من الادعاءات الباطلة التي قلما تخلو منها صفحة من صفحات الرحلة، وخصوصاً تلك المتعلقة بالمواجهة مع العساكر الإدريسية[8].

كل هذه الخُزَعْبَلات التي تلصقها الرحلة اليمانية بالإدريسي لم نجد لها ما يسندها في كتابات مناوئيه، ومنهم الملك عبد الله بن الحسين (1370هـ/ 1951م) ملك الأردن في مذكراته، ومتصرف عسير سليمان شفيق كمالي باشا، ولا من قبل أوائل من كتب عن تاريخ المنطقة ممن عاشوا قريباً من تلك الأحداث، وأفاضوا في الكتابة عنها، وعلى رأسهم محمد بن أحمد العقيلي (ت1423هـ/ 2002م)، ومحمد بن سعيد النعمي (ت1431هـ/ 2010م). بل إنَّ أشدَّ خصوم الإدريسي، وهو سليمان شفيق باشا، لم يذهب هذا المذهب من اتهام الإدريسي بادعاء خوارق الأمور، ولم يقبل بها، بل نفاها عنه في أكثر من موقف منها في إسطنبول في أثناء زيارته للصدر الأعظم ووزيري الحربية والداخلية في الدولة العليّة، قائلاً للصدر الأعظم بالحرف الواحد: «إنَّ ما احتوته ملفات الباب العالي من المعلومات عن عسير كلها من قبيل الأراجيف»[9].

وحينما قدم إلى القنفدة، علم ممن قابلهم فيها أنَّ «الإدريسي رجل ناصح مرشد شفيق يدعو الناس إلى ما فيه خيرهم حسبة لله، لا يطلب جزاءً ولا شكوراً، وأن القبائل عرفت ذلك فيه فوسّطته للفصل فيما بينها من قضايا الدماء، وهو يصلح بين المختلفين برضا منهم، وينتزع ما في صدورهم من غِلّ، فأقبلت القبائل عليه في صبيا من كل حدب وصوب تبايعه وتنزل على حكمه»[10]. وحينما سمع المتصرّف سليمان باشا ذلك القول ممن التقاهم في القنفدة علّق عليه بقوله: «هذه حقيقة السحر الذي نسبوه إلى السيد الإدريسي، وبذلك استمال الناس»[11]، أي السحر الحلال المتمثل في قوة الخطاب الذي كان يتمتع به السيد الإدريسي.

كذلك تنبّه الإدريسي نفسه إلى ما يُحاك ضده من الأقاويل المغرضة، والاتهام بالشعوذة وادّعاء المهدية، وانتحال الكرامات والمعجزات فدافع عن نفسه في منشور طويل جاء فيه: «نحن بحمد الله مؤمنون من أهل السنة والجماعة نؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ونعمل على ما يوافق الشريعة المطهرة ونأمر بالمعروف، وننهى عن المنكر، ونجتهد في إزالة البدع الضارة». ويقول فيه أيضاً: «نحن لا ندعي شيئاً من الدعاوى المغرضة التي يموِّه بها ذوو الأوهام على عقول العوام، فلا ننتحل المهدية كما يزعمون، ولا نشعوذ كما يفترون، ولا نزعم كشفاً ولا شيئاً من علم الغيب كما يشيعون **(قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ)**»[12].

وعلى الرغم من ذلك النفي فإنَّ صاحب الرحلة يعزو إلى ما يصفه بالخُزَعْبلات التي كان الإدريسي يموِّه بها على أنصاره هي التي مكَّنته من السيطرة على قطاع واسع من عسير وتهامة حتى وصلت سيطرته إلى أحواز مكة القريبة منها[13]. فكان لزاماً على الدولة العليّة إرسال هذه الحملة التي انطلقت من مكة المكرمة في يوم الأحد 26 ربيع الثاني سنة 1329هـ/ الموافق 25 أبريل سنة 1911م عند الساعة التاسعة نهاراً بالتوقيت الغروبي، أي نحو الساعة الثالثة عصراً بالتوقيت الزوالي عبر الطريق المعروف تاريخياً باسم: الجادة السلطانية المعروفة بين مكة واليمن، وهذا الطريق يسلك مناطق عامرة بالسكان والأودية والزراعة والآبار والمحطات التي كان ينزل فيها الحجاج والتجار قبل معرفة السيارات، وتحوّل الطرق عنها يميناً وشمالاً بفعل ذلك[14].

> تميَّز الإدريسي بخطاب جاذب له تأثير السحر في المستمعين بشهادة المخالفين له والموالين

خط سير الحملة الشريفيّة

كانت أولى المحطات التي توافينا بها الرحلة اليمانية بعد الخروج من مكة المكرمة هي: البَيْضَاء، ثم السَّعْدِيَّة، ثم الخَضْرَاء، ثم الغَالَّة، ثم الخُرَمَان، ثم الكَلَابِيَّة باللَّيْث مروراً بنُجَيْمَة، فالشاقة الشامية (وادي حَلَيَة)، والشاقة اليمانية (وادي عُلَيْب) إلى وادي دَوْقَة[15]. وهو أول محافظة القنفدة التي تبدأ حدودها قبل الدخول في هذا الوادي من الشمال، وتحديداً من محطة عُسَيْلَة الواقعة على الطريق الساحلي بين جدة وجازان، ومن هناك تبدأ المساحة التي تشغلها محافظة القنفدة، والأودية والمحطات التي تقع فيها، والتي يرد ذكرها تباعاً في الرحلة اليمانية، وأولها: وادي قَرْمَا، فوادي نَاوَان، فالأَحْسَبَة إلى وادي قَنْوْنَا التي تقع مدينة القنفدة في ساحلها، لتنتهي الرحلة بالشريف حسين وعساكره إلى التمركز في مكان من الوادي نفسه اسمه: أُمُّ الجِرْم، على بعد ساعة إلى الشرق من القنفدة[16].

مصدر جغرافي تاريخي:

وتتضمَّن الرحلة وصفاً دقيقاً لمراحل الطريق، ولأسماء القبائل التي تنزل فيها، ولكون معظم هذه الأمكنة أسماء أودية، فقد تضمّنت الرحلة وصفاً دقيقاً لتلك الأودية، والمحصولات الزراعية التي تجود فيها، والجبال الشرقية التي تستمد منها سيولها إلى أن تصب في البحر الأحمر، وهو وصف جيد، وتُعَدُّ الرحلة مصدراً مهماً في هذا الجانب لتلك الأودية، وما فيها من حياة فطرية وبشرية[17]. وتتضمن الرحلة أسماء القبائل والمشايخ الذين كانوا يفدون إلى الشريف سامعين ومطيعين للدولة العلية، ومعلنين التوبة والبراءة من الإدريسي الذي خدعهم وضلّلهم بدعايته المغرضة، ومعبِّرين عن استعدادهم بسلاحهم وعتادهم لمحاربته تحت راية الدولة العلية التي يقودها أمير القبلة الشريف الحسين بن علي.

ويورد البركاتي أرقاماً خياليّة لتعداد القبائل التي وفد عليه بعض شيوخها سنتوقف عندها لتفنيدها خدمة للدارسين والباحثين الذين سيعتمدون عليها مصدراً لمعلوماتهم إن سمح لنا الوقت[18]. وتتضمن الرحلة كذلك وصفاً للقنفدة، ولتجارتها، وعادات أهلها، وميناتها، وأشكال منازلها، وما فيها من المرافق الحكومية، وأسعار بعض السلع، وخصوصاً الحبوب وحتى الدجاج الذي يكثر وجوده فيها، ويبلغ ثمن الواحدة منه نحو قرشين مصريين[19]، وبالجملة فوصفه للقنفدة لا يخلو من الفائدة لمن يرجع إلى هذه الرحلة من الدارسين والباحثين عن تلك الحقبة، وهذا ما يؤكد أهميتها بوصفها مصدراً ومرجعاً مهماً لأحداث زمانها.

المواجهات العسكرية في نطاق محافظة القنفدة

أما في مجال المواجهات مع طلائع العساكر الإدريسية المرابطة في وادي يَبَة بمحافظة القنفدة، والتي كانت تأتمر بأمر محمد بن خُرشان المقيم في بلدة مَحْشُوْش بوادي حلي[20]، فكانت أولى الخطوات التي اتخذها أمير الحملة الشريف الحسين بن علي هي توجيه النصح لمشايخ وادي يَبَة، وهم: علي بن مديني، شيخ القوز، وبيطلي، شيخ بني يعلى، وأحمد بن خيرة، شيخ النواشرة، وكان ممن سعى بالوساطة بين المذكورين وبين الشريف حسين الشيخ حسن بن عوض الزَّيْدِي، شيخ قبائل بني زَيْد بوادي قَنْوْنَا الذي تقع فيه أمّ الجِرْم التي يرابط فيها الشريف حسين بقواته. ولكن هؤلاء المشايخ لم يستجيبوا لتلك المساعي مظهرين استعدادهم التام للحرب. ويعلّل البركاتي ذلك الرفض بقوله: «وذلك لاعتقادهم أن كل من خالف الإدريسي فهو كافر يجب قتله، كما أخبرهم بذلك عن طريق الوحي»[21]. وحينما عاد الوفد إلى مقابلة الشريف أمرهم بالعودة إلى مشايخ وادي يَبَة للوساطة، فلما قابلوهم مرة ثانية لم يظفروا منهم بطائل[22]. فما كان أمام الشريف من خيار سوى المواجهة الحربية التي بدأت ببعث عدد من السرايا إلى مقرّ القوات الإدريسية بوادي يَبَة، بدءاً من ليلة الاثنين 9 جمادى الأولى سنة 1329هـ/ الموافق 7 مايو 1911م، ثم تلتها ثلاث سرايا أخرى آخرها وأهمها في ليلة الأربعاء 18 جمادى الأولى سنة 1329هـ/ الموافق 16 مايو 1911م، وكان على رأسها الأميران عبد الله وفيصل (ت1352هـ/ 1933م) نجلا الشريف الحسين بن علي نفسه، وهذه الوقعة استمرت أربع ساعات حقق فيها جيش الشريف انتصاراً ساحقاً على أعدائه[23].

معركة خبت عجلان:

أما المعركة الفاصلة فكانت في خَبْت عَجْلان المعروف على بعد نحو 13 كيلومتراً إلى الشمال الغربي من القوز بينها وبين القنفدة[24]، وذلك في غرة جمادى الآخرة سنة 1329هـ/ الموافق 29 مايو سنة 1911م بقيادة نَجْلَيْ الشريف الحسين بن علي وهما كما تقدّم: عبد الله وفيصل، وانتهت المعركة -طبقاً لما يورده صاحب الرحلة- بانتصار ساحق للقوات الغازية، وبسيطرة تامة على خَبْت عَجْلَان، وتقهقر القوات الإدريسية إلى وادي يَبَة،

> أخفقت مساعي الشريف حسين باستمالة شيوخ القبائل لنصرته فوجّه سريتين لقتالهم بقيادة نجليه عبد الله وفيصل

الملك فيصل

ويذكر البركاتي أيضاً أنه لم يُصَبْ أحد من القوات الغازية بأذى[25].

ويمضي البركاتي في الخبر عن تتبع الفارين جنوباً من معركة عجلان إلى وادي يَبَة منذ فجر اليوم التالي، حيث هجمت عليهم القوات الشريفية والتركية وهم في تحصيناتهم التي أحكموها بين غابات الوادي «حتى ليخيّل للرائي أنها شجرة واحدة» على حد قوله[26]، ومع ذلك استطاعوا الانتصار عليهم، وكسروهم شرّ كسرة، وأجبروهم على الانسحاب نحو حَلِي. ويقول البركاتي: إن هذه المعركة أسفرت عن مقتل 600 قتيل من العساكر الإدريسية، على حين أنه لم يذكر أنَّ أحداً من قوات الطرف الآخر قد قتل[27]. أما في عجلان فيذكر صراحة أن أحداً منهم لم يُصب بأذى كما قدمنا.

معلومات خاطئة:

والواقع أنَّ صاحب الرحلة يفتقر إلى أبسط قواعد الدِّقَّة في إيراد أخبار السرايا والمعارك التي خاضتها قوات الدولة ضد العساكر الإدريسية، فهي عند البركاتي تغزو وتقتل وتغنم وتخوض معارك حامية دون أن ينهزموا، أو أن يُقتل منهم أحد إلا في حدود ضيقة جداً، وكأنهم خُلقوا من طينة غير الطينة التي خلق منها خصومهم، مع أنهم لا يقلّون شجاعة وتضحية وصموداً عن أولئك الخصوم، إن لم يتفوَّقوا عليهم.

ولا نعدم الردّ على تَعْمِيَة الشريف البركاتي على الحقيقة الواضحة وضوح الشمس في كبد السماء؛ لأننا حينما نستعرض مذكرات الملك عبد الله التي يفرد فيها عدة صفحات للهزيمة الساحقة التي تعرضوا لها في أول مواجهة لهم مع أعدائهم في خَبْت عجلان تتضح الحقيقة التي تجرّعوا مرارتها، فهو يصف جميع القوات التي تحت قيادته من نظامية وغير نظامية، وهي تنهزم أمام القوات الموالية للإدريسي لا تلوي على أثر، ويقول: كُنَّا نراهم يهجمون «وليس أمامهم إلا زرع يُحصد»[28]. ويقول: «وبالنتيجة لم يسلم من الطوابير الثلاثة إلا سبعون نفراً»[29]، ويقول أيضاً: «وصلنا القنفدة في اليوم الثاني بخسارة عظيمة، ولو كَرّ الأدارسة ليلتها أو الليلة الثانية لقضوا على الجميع»[30]. وتحدّث عن هذه الهزيمة متصرف أبها سليمان شفيق باشا قائلاً بأن الشريف خاض معركة انكسرت فيها قواته، وغنم الثائرون كل ما معه من سلاح ومؤن. وقال: إنه لم يصدّق هذه الأخبار حينما وصلته لأول مرة حتى تلقى كتاباً رسمياً من قائمقام القنفدة، وكان -حينذاك- تابعاً لعسير، يؤكد هذه الحقيقة[31]، ويفيد بمشاركة ابني الشريف حسين (عبد الله وفيصل) في هذه المعركة التي أَبْدَيَا فيها شجاعة فائقة، غير أنهما لم يخرجا من المعركة إلا بعد أن جرّدهما الثوار من ثيابهما، فرجعا إلى القنفدة عريانين[32]، ويصعب على المرء قبول هذا الخبر وتصديقه إلا أن يكون الثوّار جردوهما من سلاحهما وما على رأسيهما من عمائم وعقل.

تكامل الاستعداد:

ومهما يكن من أمر، فإنَّ هذه الهزيمة أَخّرَت استئناف الحملة مدة أسبوعين في القنفدة حتى وصول قوات جديدة وعتاد جديد[33]، فلما تكاملت الاستعدادات للحملة استأنف الشريف بعربانه وبالقوات العثمانية النظامية المواجهة العسكرية للمرة الثانية بقيادة الشريف زيد بن فواز والأمير ألاي نظيف بك[34]، وزحفوا جنوباً بشرق إلى حيث ترابط العساكر الإدريسية، فواجهوا من جانبها بمقاومة شرسة لا تقلّ عن المواجهة السابقة، وكادت أن تحلَّ بهم هزيمة أبشع من الأولى لولا تفوّقهم بفعل المدفعية التي كنستهم كنساً كما يقول الملك عبد الله في مذكراته[35]، وأيضاً نفاد الذخيرة من أيدي القوات

افتقر صاحب الرحلة إلى الدِّقَّة في إيراد أخبار المعارك التي خاضتها قوات الدولة ضد العساكر الإدريسية

الإدريسية، مما اضطرهم إلى استخدام السلاح الأبيض، وشتان بين من يقاتل بالمدافع وبالسلاح الناري المزوّد بما يفوق الحاجة من الذخيرة، وبين من يقاتل بالسلاح الأبيض، فانهزم المدافعون، وتراجع ابن خرشان إلى القَحْمَة كما يذكر الملك عبد الله[36].

تجاهل الخسائر:

أمّا الخسائر في الأرواح في جانب القوات المهاجمة التي تجاهلها البركاتي في رحلته، فيذكرها الملك عبد الله بقوله: «ثمَّ قبيل المغرب، جاء التقرير الطبي إلى مقر القيادة بأنَّ الوفيات اليوم في الجيش بلغت مائتين وثمانين نسمة... وفي اليوم الثالث نزلت القوات إلى ثلثها، وأصبحت القوات المسلحة التركية بفعل القتل ومرض الكوليرا الذي انتشر بينهم في القوز ألفاً وسبعمائة نفر من سبعة آلاف، فأمر بالحركة نحو أبها، وكلما تقدمنا شرقاً تناقص المرض»[37].

أما صاحب الرحلة فإنه لم يشر إلى انتشار الكوليرا بين العساكر في القوز، ولم يشر إلى أي خسائر، كذلك لم يذكر شيئاً عن الاستعجال بالرحيل من القوز صوب أبها، بل على العكس من ذلك حيث يفهم منه أنهم أمضوا في القوز نحو 17 يوماً تحدَّث خلالها عن استقبالات لقبائل ومشايخ وفدوا على الشريف حسين[38]، وعن نشاطات حربية استهدفت بحراً موانئ البِرْك والوَسْم والشُّقَيْق، وبرّاً استهدفت وادي حَلِي، وإن كانت لم تتجاوزه جنوباً في تتبع فلول القوات الإدريسية، بل كانت مجرد سرّية قوامها 1000 مقاتل، انطلقت في صباح يوم الجمعة الرابع من شهر جمادى الآخرة سنة 1329هـ/ الموافق الأول من يونيو 1911م، فعادت منتصرة بعد أن قتلت وغنمت الشيء الكثير من أهل وادي حلي دون أن تشير الرحلة كعادتها إلى أي خسائر لحقت بأفراد السريّة[39]. كما تذكر الرحلة أيضاً أنه في فترة توقّف الحملة في القوز وصل إلى ميناء القنفدة ذخائر حربية جديدة، كما وصل إليها القائد نشأت باشا ليكون قائداً عاماً لجميع العساكر النظامية، وكان ذلك بناءً على طلب الشريف حسين قبل أن يقدم إلى القوز[40].

وبعد أن تكامل وصول الذخيرة والمدد العسكري تحرك الشريف حسين من أُمِّ الجِرْم إلى القوز التي وصلها عند الساعة العاشرة غروبي/ الرابعة زوالي من عصر يوم الاثنين 7 جمادى الآخرة/ الموافق 4 يونيو 1911م، وبصحبته من العساكر 4800 نسمة على حد ما يذكر الشريف البركاتي[41].

وفود القبائل:

ويذكر أيضاً أنه في أثناء إقامة دولة الشريف بالقوز وفدت عليه القبائل التي حاربته بالأمس معلنة توبتها وندمها على ملاءمة الإدريسي في ثورته ضد الدولة العليّة، ومبدية استعدادها على نصرته، والذهاب تحت رايته في حربه ضد الإدريسي، وكذلك أبدوا تعهداتهم بدفع الزكاة الشرعية إلى القائمين عليها من قبل الدولة العليَّة، ومن أبرز الوافدين على دولته شيوخ حَلِيْ وهم أحمد الضُّمِّي، وابن الصغير، والشيخ عَجِي، يرافقهم مشايخ وادي يَبَه وهم: علي بن مديني، وأحمد بن خيرة، والبيطلي[42]. ويصف البركاتي قبائل وادي حلي ووادي يَبَه بأنهم من أعظم قبائل تهامة في العدد والعدة، وأنهم مشهورون بالشجاعة، ويذكر أن الشريف حسين استقبلهم بالترحاب، ووعظهم، وعفا عنهم بعد أن تعهدوا له بالسمع والطاعة للدولة العلية كما تقدم. كما يصف هذين الواديين (يَبَة وحَلِيْ) بأنهما من أشهر الأودية في تهامة، ومن أكثرها خصباً وزراعة وغطاءً نباتي، واتساع في أطيانهما التي تُعدُّ في نظره من أجود الأطيان، والتي يقدرها بسبعين ألف فدان بالنسبة لوادي يبة، وبثلاثة أضعاف هذه المساحة بالنسبة لوادي حلي[43]. وبعد إقامة امتدت لأكثر من عشرة أيام في القوز أمرهم الشريف حسين بالرحيل منها صوب أبها، فغادروها في الحادي والعشرين من شهر جمادى الآخرة سنة 1329هـ/ الموافق 18 يونيو سنة 1911م، فكانت محطتهم الأولى بعد القوز في قرية مُشْرِف المطلة على وادي يبة من الشمال[44]، ثمَّ منها في اليوم التالي إلى جمعة رَبِيْعَة الواقعة حاليّاً بمحافظة بارق - منطقة عسير، وبها سوق معروف يقام كل يوم جمعة، ويقدّر البركاتي أن عدد من يحضره من القبائل المجاورة للبيع والشراء عشرون ألفاً، ولا يمسي المساء إلا وهم متفرقون كل إلى وطنه[45]. وهذا التقدير في عدد الذين يحضرون سوق يوم الجمعة في يوم إقامته غير دقيق، لأنني حضرته شخصيّاً أكثر من مرة في مطلع شبابي فوجدته من الأسواق المعتدلة في عدد المتسوِّقين إليه، ولا أظنهم يتجاوزون الألفين، بل إن أسواقاً كبرى مشهورة في تهامة منها في محافظة القنفدة: سوق الخميس في القَوْز، وسوق الأحد في كِيَاد بحَلِيْ، وسوق الأحد أيضاً بالمُظَيْلِف، وفي منطقة عسير: سوق السبت بمحائل، وربوع العَجَمَة ببَارِق،

بلغت خسائر القوات التركية بفعل القتل ومرض الكوليرا ألفاً وسبعمائة نفر من سبعة آلاف

وسوق الاثنين بالأَجَارِدَة لا أظن أيّاً منها على كبره يصل عدد المتسوقين فيه إلى نصف هذا العدد[46].

المبالغة في تقديرات الأرقام

بقي أمر آخر جدير بالإشارة، وهو أنَّ مؤلف هذه الرحلة عنده مشكلة في تقدير الأرقام، حيث إنه يبالغ فيها بدرجة لا يمكن أن يتصورها عقل. ولا نعرف ما إذا كانت هذه التقديرات من بنات أفكاره وحده، أم إنها من مبالغات الرواة الذين تلقاها عنهم، ولا سيما شيوخ القبائل الذين عادة ما يبالغون في أعداد قبائلهم وعدتهم وعتادهم، وهذا ينطبق حتى على القسم الجغرافي من الرحلة الذي لا يدخل ضمن هذه الدراسة، وفيه من تقديرات الأرقام ما ينبغي أخذها بحذر شديد. ومن أمثلة تقديراته التي نوردها هنا على سبيل المثال لا الحصر قوله إنَّ قبائل زهران يزيدون على 150,000 (مائة وخمسين ألف مقاتل[47]، ومع تسليمنا بكبر قبيلة زهران إلا أنها في ذلك الوقت لا تصل بسائر أفرادها رجالاً ونساءً وأطفالاً إلى عشر هذا العدد، فما بالكم وهؤلاء (150,000) من الرجال القادرين على حمل السلاح فقط! فإذا قدَّرنا أنَّ معدل الأسرة أربعة أشخاص، فذلك يعني أنَّ عدد سكان قبيلة زهران حينذاك 600,000 نسمة، أي أضعاف مضاعفة لعددهم اليوم، بل أكثر من سكان منطقة الباحة في آخر تعداد للسكان بالمملكة، أي بعد أكثر من مائة عام، وهو 400 ألف نسمة بمن فيهم قبائل غامد وزهران ومَن سَاكَنَهم من الفئات الأخرى بمَن فيهم العمالة الأجنبية الذين يشكلون نسبة عالية من سكان المملكة العربية السعودية، سواء أكانوا في الباحة أم في غيرها[48].

ومن التقديرات المبالغ فيها عند البركاتي قوله إنَّ المقاتلين من قبيلة بني زَيْد يبلغون 125,000 (مائة وخمسة وعشرين ألف مقاتل)[49]، وهذا الرقم مبالغ فيه جداً؛ لأنَّ محافظة القنفدة كلها في ذلك الوقت لا أعتقد أنَّ تعداد سكانها بلغ هذا الرقم، فضلاً عن بني زيد الذين بلغ تعدادهم مع القبائل الأخرى المخالطة لهم من أشراف وسادة وطوالبة وزيالعة حسب آخر إحصاء 16,000 (ستة عشر ألفاً) ، وهذا الإحصاء يشمل النساء والرجال بمن فيهم الأطفال وكبار السن، فلو أعملنا النسبة الطبيعية للأسر فإننا نجد أنَّ القادرين على حمل السلاح قد لا يتجاوزون 2000 إلى 3000 فرد، هذا في وقتنا الحاضر ، فما بالكم بحال القبيلة قبل أكثر من مائة عام من الآن، وهذا قليل

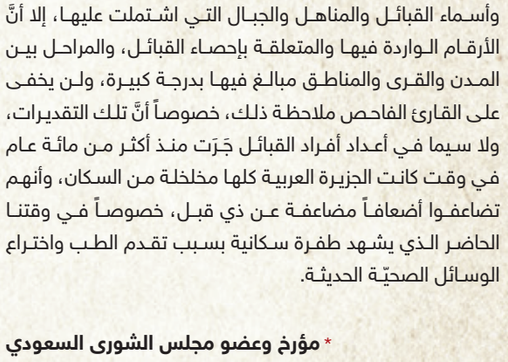

صورة لمنازل القنفدة المبنية بالحجر البحري

من كثير من تقديرات البركاتي الخاطئة والمبالغ فيها. وقد تأثر بتقديرات البركاتي بعض المؤرخين الذين جاؤوا بعده، واقتفوا أثره، ومنهم المؤرخ اليمني عبد الواسع الواسعي في كتابه[50] تاريخ اليمن المسمى: «فرجة الهموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن»، فضلّوا وأضلّوا.

يتضح مما تقدم أنَّ هذه الرحلة من أقدم وأشهر الرحلات في زمانها التي خرجت من مكة المكرمة إلى أبها مروراً بالقنفدة، ثم العودة إلى مكة عبر طريق آخر سَرَوِي نجدي مروراً بالطائف، وأنها تمثل وجهة نظر رسمية للجهة التي سار مؤلفها في ركابها بوصفه موظفاً رسميّاً من موظفي أمير مكة، ومن رجاله المقربين منه، ولهذا ينبغي أن تؤخذ معلوماتها عن الحملة بحذر شديد، ومع ذلك فهي لا تخلو من الفائدة والقيمة العلمية في وصفه للأودية التي قطعها، والمحطات التي توقّف فيها، وأسماء القبائل والمناهل والجبال التي اشتملت عليها، إلا أنَّ الأرقام الواردة فيها والمتعلقة بإحصاء القبائل، والمراحل بين المدن والقرى والمناطق مبالغ فيها بدرجة كبيرة، ولن يخفى على القارئ الفاحص ملاحظة ذلك، خصوصاً أنَّ تلك التقديرات، ولا سيما في أعداد أفراد القبائل جَرَت منذ أكثر من مائة عام في وقت كانت الجزيرة العربية كلها مخلخلة من السكان، وأنهم تضاعفوا أضعافاً مضاعفة عن ذي قبل، خصوصاً في وقتنا الحاضر الذي يشهد طفرة سكانية بسبب تقدم الطب واختراع الوسائل الصحيّة الحديثة.

* **مؤرخ وعضو مجلس الشورى السعودي**

الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع

(1) انظر ترجمة المؤلف في: البركاتي، الشريف فيصل بن شرف بن عبد المحسن، «الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي - صاحب الرحلة اليمانية» في:
http://www.al-amir.info/inf4/include/plugins/article/article.php?action=s&id=87
ولمزيد من المعلومات عن المترجم له انظر الموقع نفسه للاطلاع على ترجمته الموسعة، والموثقة بقلم ابنه فيصل بن شرف بن عبد المحسن البركاتي كما تقدم.

(2) **صَبْيَا:** إحدى أهم مدن منطقة جازان في ماضيها وحاضرها، وتقع على الضفة الشمالية من وادي صَبْيَا الشهير، وكانت في زمن الرحلة عاصمة لدولة السيد محمد بن علي الإدريسي المتوفى سنة 1338هـ/ 1920م، وهي المذكورة في مطلع قصيدة زعيم صَبْيَا في زمانه القاسم بن علي الشريف الذروي ومنها:

مَن لَصَبٍّ هَاجَهُ نَشْرُ الصَّبَا
لـم يَزِدْهُ البَيْـنُ إلا نَصَبَـــا
وأَسِيْـــــرٍ كُلَّـمَا لَاحَ لَـــه
بَارِقُ القِبْلَةِ مِـن صَبْيَا صَبَا

العقيلي، محمد بن أحمد، المعجم الجغرافي للبلاد السعودية - مقاطعة جازان (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، 1389هـ/ 1969م) ص138-142.

(3) عن إجلاء الأتراك عن منطقة جازان بعد معركة الحَفَائِر التي وقعت في يوم الاثنين 10 جمادى الأولى عام 1329هـ/ الموافق 8 مايو عام 1911م، وفيها انهزم الأتراك شر هزيمة، انظر: شاكر، محمود، شبه الجزيرة العربية - عسير، (دمشق: المكتب الإسلامي 1396هـ/ 1976م)، ص238-239؛ العقيلي، محمد بن أحمد، المخلاف السليماني، (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي، 1379هـ/ 1959م، جـ2، ص97-98.

(4) **أبها:** مدينة سَرَوِيّة تقع في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وهي العاصمة الإدارية لمنطقة عسير، وقبل الحكم السعودي كانت مقراً للمتصرف العثماني، ثمَّ عاصمة للأسر العسيريّة التي حكمتها. انظر: الحربي، علي إبراهيم ناصر، المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية - منطقة عسير، (أبها 1417-1418هـ) جـ1، ص35 والصفحات التي بعدها؛ رفيع، محمد عمر، في ربوع عسير، (القاهرة: دار العهد الجديد للطباعة 1373هـ/ 1954م)، ص25-62.

(5) عن العساكر التي كانت مع الشريف حسين انظر: ابن الحسين، عبد الله، مذكراتي ط1، (عمّان: الأهلية للنشر والتوزيع 1409هـ/ 1989م)، ص62-63؛ العقيلي، محمد بن أحمد، مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا، ط1، (أبها: النادي الأدبي، 1405هـ/ 1984م)، ص72-74، العارف، يوسف حسين، أضواء على مذكرات سليمان شفيق كمالي باشا، ط1، (أبها: نادي أبها الأدبي، 1411هـ/ 1990م)، ص101-102.

(6) البركاتي، شرف بن عبد المحسن، الرحلة اليمانية للشريف حسين بن علي، (لندن: شركة دار الوراق للنشر المحدودة، 2007م) ص10.

(7) البركاتي، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(8) البركاتي، المصدر نفسه، ص14-15.

(9) العقيلي، مذكرات سليمان شفيق باشا، ص29.

(10) العقيلي، المصدر نفسه، ص30.

(11) العقيلي، المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(12) العقيلي، المخلاف السليماني، جـ2، ص156-166.

(13) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص16.

(14) البركاتي، المصدر نفسه، ص19. وعن هذا الطريق انظر: الزيلعي، أحمد بن عمر، مكة وعلاقاتها الخارجية، (الرياض: عمادة شؤون المكتبات - جامعة الملك سعود 1401هـ/ 1981م) ص102-103، وانظر أيضاً: البلادي، عاتق بن غيث، بين مكة واليمن (مكة: دار مكة للنشر والتوزيع 1410هـ/ 1984م) ص10-13 والصفحات التي بعدها.

(15) كل هذه المسمَّيات معروفة بحسب الترتيب الذي أورده المؤلف، وهي مسمّيات لأودية وأمكنة معروفة ومأهولة حتى عصر الناس هذا، وتمتد من مكة المكرمة إلى أم الجِرْم بوادي قنونا على مسافة تقدر بنحو 350 كيلومتراً.

(16) **أم الجِرْم:** موقع ومورد ماء صالح للإقامة فيه من قبل العساكر، وقد سبق ذكره والإقامة فيه من قبل العساكر التركيّة التي غزت عسير وما حولها طبقاً لوثيقتين يوردهما عبد الرحمن عبد الرحيم عبد الرحمن، وتحدّد الوثيقة الأولى منهما المسافة بين أم الجِرْم وبين القنفدة بمسير ساعة، وهو تقدير مطابق للتقدير الذي يورده البركاتي. انظر: المؤلف نفسه، من وثائق شبه الجزيرة العربية في عصر محمد علي، جـ1، ص100-401.

(17) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص20-26.

(18) البركاتي، المصدر نفسه والصفحات نفسها، من أبرز الشيوخ الذين وفدوا على الشريف حسين بن علي في أثناء مروره بديارهم هم: شيوخ الأشراف ذوي حسن، وهم سكان الواديين: حَلْيَة أو الشاقة الشامية، وعُلْيَب أو الشاقة اليمانية، ومن محافظة القنفدة وفد عليه الشيخ محمد بن مرزوق شيخ قبائل زُبَيْد بمركز المظليف المعروف اليوم على بعد 300 كيلومتر إلى الجنوب من مكة المكرمة، والشيخ يحيى بن الدَّعَيِّس العَجَلاني، شيخ قبيلة العَجَالين بمركز المظليف أيضاً. انظر: البركاتي، المصدر نفسه، ص26-27.

(19) البركاتي، المصدر نفسه، ص30-31. والقنفدة إحدى مدن الساحل الغربي للمملكة العربية السعودية، وتبعد عن مكة إلى الجنوب بنحو 370 كيلومتراً، وهي المركز الإداري لمحافظة تسمى باسمها: محافظة القنفدة، وتتبع حالياً لإمارة منطقة مكة المكرمة، وفي زمن الرحلة كانت قائمقامية تابعة لمتصرفية عسير.

(20) الفقيه، غازي بن أحمد، القوز تاريخ المكان وسيرة الإنسان، ط (1)، (الرياض: مطبعة الحميضي 1435هـ/ 2014م)، ص127، انظر الهامش، وعن مَخْشُوْش انظر أيضاً: الزيلعي، أحمد بن عمر، «المواقع الإسلامية المندثرة في وادي حلي» حوليّات كلية الآداب - جامعة الكويت (الكويت: جامعة الكويت، الحولية السابعة، الرسالة 39، 1406هـ/ 1986م)، ص29، وما بعدها في صفحات متفرقة.

(21) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص33.

(22) البركاتي، المصدر نفسه، ص34.

(23) البركاتي، المصدر نفسه، ص34-38. نَجْلا الملك حسين المذكوران هنا هما: الملك فيصل بن الحسين ملك سوريا، ثم العراق بعد الاحتلال الفرنسي لسوريا، والملك عبد الله بن الحسين ملك الأردن.

(24) انظر: الفقيه، القوز، ص130 في المتن والهامش.

(25) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص29-30، وانظر عن هذه المعركة أيضاً: الفقيه، القوز، ص129-30.

(26) البركاتي، الرحلة اليمانية، 40.

(27) البركاتي، المصدر نفسه، ص41.

(28) ابن الحسين، مذكراتي، ص63.

(29) ابن الحسين، المصدر نفسه، ص64.

(30) ابن الحسين، المصدر نفسه والصفحة نفسها. وانظر عن هذه المعركة والهزيمة التي حلّت بالعساكر الشريفية والتركية، الفقيه، القوز، ص132-133.

(31) العقيلي، مذكرات سليمان شفيق باشا، ص73.

(32) ابن الحسين، المصدر نفسه والصفحة نفسها؛ العارف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق، ص102.

(33) ابن الحسين، مذكراتي، ص64.

(34) ابن الحسين، المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(35) المصدر نفسه، ص65-68، وانظر أيضاً: العارف، أضواء على مذكرات سليمان شفيق، ص102.

(36) ابن الحسين، المصدر نفسه، ص 68.

(37) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(38) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص38.

(39) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص45-46.

(40) البركاتي، المصدر نفسه، ص46.

(41) البركاتي، المصدر نفسه، ص47.

(42) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص47-48.

(43) البركاتي، المصدر نفسه، ص52.

(44) البركاتي، المصدر نفسه، ص53.
قرية مُشْرِف وامتدادها شرقاً، هي آخر حدود محافظة القنفدة من تلك الجهة، ويليها من الشرق حدود قبائل ربيعة التابعة اليوم لمنطقة عسير. ويسكن قرية مشرف أسر من السادة الهاشميين، وبعض أفراد من قبيلة العمور المحادَّين لقرية مشرف من الشمال والغرب.

(45) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص73.

(46) كل هذه الأسواق الأسبوعية معروفة ومشهورة بمواقعها وبمعروضاتها التراثية، وقد تردّدت إليها كلها منذ ما يقرب من 50 عاماً، وهي لا تزال قائمة حتى عصر الناس هذا.

(47) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص35-36.

(48) عدد سكان منطقة الباحة بما فيها سكان غامد وزهران في عام 1394هـ /1974م (185.905) نسمات حاضرة وبادية انظر: رجب، عمر الفاروق سيد «الخريطة السكانية للمملكة العربية السعودية»، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة الرابعة رجب 1398هـ/ يونيو، 1978م، ص210.

(49) البركاتي، الرحلة اليمانية، ص32.

(50) انظر الطبعة الثانية (الدار اليمنية للنشر والتوزيع 1402هـ/ 1982م)، ص113-118.

منظر عام لمدينة مكناس المغربية التاريخية

تميَّز بخصائص معمارية متفرّدة عن مساجد بلاد المشرق

الجامع الأعظم بحاضرة مكناس

صرح حضاري ينبض بتاريخ عريق

رامي ربيع عبد الجواد راشد*

حظيت مساجد بلاد المغرب الأقصى والأندلس بأهمية كبرى من الناحيتين التاريخية والأثرية، بما تعكسه من خصائص معمارية وسمات فنية متميزة، متفردة في كثير من النواحي عن غيرها من مساجد بلاد المشرق ومصر. هذا، رغم ما بين كل منهما من وحدة عامة لا تكاد تخطئها العين، كأحد الأدلة المادية على عالمية ووحدة ذلك الدين الإسلامي الحنيف.

الجامع الأعظم بحاضرة (مدينة) مكناس هو المسجد الجامع بها، وإلى تاريخ إعادة تأسيس المدينة خلال العصر المرابطي يرجع تاريخه[1]، كما يدل بموقعه وسط المدينة العتيقة على أنه القلب النابض الذي منه تتفرَّع شراييها، بما تعجُّ به دروبها وأزقتها الضيقة من أجواء صاخبة في شتى مناحي الحياة، لا تهدأ إلا مع إقبال الليل وانسدال أستار الظلام، إذ حينها تنجذب الأسماع في صفاء، وترتجف القلوب في خشوع إلى صوت النداء العذب المتعالي من صومعة ذلك المسجد الجامع: (الله أكبر الله أكبر، ... حيَّ على الصلاة، حيَّ على الفلاح، الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله).

> **المسجد النبوي هو الأصل الذي بُنِيَ وتفرَّع منه الطراز التقليدي للعمارة الإسلامية**

في إطلالة عابرة على رحاب هذا الجامع العامر، يمكن الوقوف على بعض خصائصه المعمارية وميزاته الفنية، وذلك على النحو التالي:

التخطيط

يتبع المسجد التخطيط المعروف اصطلاحاً بـ«الطراز التقليدي»، في تخطيط المساجد، الشكل (1)، حيث كان المسجد النبوي، الذي أسَّسه نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، بالمدينة المنورة، الأصل الذي بُنِيَ وتفرَّعَ منه ذلك «الطراز التقليدي» في كافة الأمصار شرقاً وغرباً مع حركات الفتح، ومراحل الاستقرار خلال العهد المبكر لدولة الإسلام، وهو يقوم في الأساس على الصحن (الفناء) الأوسط المكشوف، الذي يلتف حوله من جهاته الأربع - أو بعضها - بيت الصلاة مع الأروقة الجانبية. ذلك الطراز التقليدي كان - وما زال - السمة السائدة في تخطيط مساجد بلاد المغرب الأقصى خلال العصور الإسلامية المتعاقبة، على خلاف مساجد بلاد المشرق ومصر، التي تعدَّدت فيها طرز وأنماط تخطيط المساجد[2].

من جهة أخرى، فإنَّ من بين الخصائص المعمارية لتخطيط هذا المسجد الجامع، هو أنَّ عقود بيت الصلاة تمتد في اتجاهٍ موازٍ لجدار القبلة، شكل (1)، على خلاف ما اتسمت به مساجد العصر المرابطي - وما تلاه - من امتداد عقود بيت الصلاة بها في اتجاه عمودي على جدار القبلة، تأثراً في هذا بمساجد الأندلس، وجامع قرطبة على وجه التخصيص، وربما يدفع هذا إلى محاولة تفسير ذلك التباين.

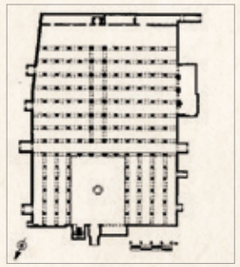

الشكل (1): الجامع الأعظم بحاضرة مكناس: مسقط أفقي، عن: EL Khammar (A): Mosquées et Oratoires de Meknès. Fig (71)

الثريا الكبرى

تتوسَّط البلاط المحوري من بيت الصلاة، وهي من أعمال الإضافة بالجامع خلال العصر الموحدي، وإلى عهد الخليفة الناصر تحديداً، حسبما يستفاد من النقش التسجيلي لها، والذي يقرأ: (صنعت هذه الثريا بمدينة فاس حرسها الله لجامع مكناسة شرفه الله بذكره، وكان الفراغ من عملها في العشرين من شهر ذي القعدة عام أربعة وستماية)[3].

الجدير بالذكر هو أنَّ هذه الثريا على غرار الثريا الكبرى التي تتوسَّط البلاط المحوري من جامع القرويين بحاضرة فاس، والتي ترجع هي الأخرى إلى عهد الناصر الموحدي عام (600هـ / 1203م) تحديداً[4]، إذ تتكوَّن - في شكلها العام - من ثلاثة أجزاء رئيسة ممثلة في قاعدتها المستديرة، ثمَّ بدنها المخروطي الشكل، فالذراع الحاملة لها، اللوحة (1)، أما من الناحية الفنية، فرغم التشابه الكبير بين عناصرها الزخرفية النباتية والكتابية وبين نظائرها بثريا جامع القرويين، إلا أنها تشهد على فقر وجمود فني مقارنة بتلك الأخيرة، ومع هذا، تبقى هذه الثريا أحد النماذج

(1) ثمة اختلاف بين الباحثين حول تاريخ تأسيس هذا الجامع، إذ ينسبه بعضهم إلى أواخر العصر المرابطي، في حين يرى بعضهم الآخر أنه بناءات العصر الموحدي. المنوني (محمد): التخطيط المعماري لمدينة مكناس عبر أربعة عصور. ضمن كتاب (أبحاث مختارة)، منشورات وزارة الشؤون الثقافية، المملكة المغربية، مطبعة دار المناهل، الرباط، فبراير 2000م، ص42. اللحية (محمد): مدينة مكناس الوسيطية: النشأة والتمدن 452 - 645هـ / 1060 - 1247م. أطروحة دكتوراه الدولة في التاريخ، جامعة محمد الخامس - أكدال، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2007 - 2008م، ص364 - 366.

(2) عن تلك الطرز والأنماط، انظر: الحداد (محمد حمزة): المجمل في الآثار والحضارة الإسلامية. زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2006م، ص497 – 551.

(3) ابن زيدان (عبد الرحمن): إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. تقديم: د. عبدالهادي التازي، المطبعة الأهلية المغربية، الرباط، ط1، 1347هـ / 1928م، جـ1، ص102.

(4) التازي (عبد الهادي): جامع القرويين المسجد والجامعة بمدينة فاس: موسوعة لتاريخها المعماري والفكري. دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1973م، مج 2، ص82.

شهد المسجد في عهد السلطان المولى إسماعيل العلوي أعمال إضافة وتجديد مهمة

النادرة ببلاد المغرب الأقصى خلال ذلك العصر الموحدي (540 - 668هـ / 1145 - 1269م)، الدالة على حلقة الوصل المهمة لهذا النوع من التحف التطبيقية بين العصرين المرابطي (462 - 540هـ / 1069 - 1145م)، والمريني (668 - 869هـ / 1269 - 1464م)، والتي ترجع في أصولها جميعاً خلال تلك العصور الثلاثة، إلى ثريات جامع قرطبة الأعظم[5].

المحراب

اتخذ السلطان المولى إسماعيل العلوي (1082 - 1139هـ / 1672 - 1727م)، مدينة مكناسة حاضرة لدولته الجديدة، ولهذا، فقد شهد مسجدها الجامع أعمال إضافة وتجديد مهمة على عهده في فترات تاريخية مختلفة، وأول هذه الأعمال تتعلَّق بتوسعة البلاط الأول من بيت الصلاة، حسبما يستفاد من النقش التسجيلي الذي يعلو مدخل بيت الإمام على يسار المواجه للمحراب، وفيه نقرأ: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم.. يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون صدق الله العظيم، وبلغ رسوله المصطفى الكريم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. أمر بتجديد هذا المسجد الأعظم مولانا إسماعيل ابن مولانا الشريف أيده الله عام سبعة ومائة وألف وكان الفراغ منه عام تسعة ومائة وألف). اللوحة (2).

لا يزال محراب الجامع - من عهد هذه التوسعة - شاهداً على اللمسات الجمالية الأخيرة للطراز الفني الأندلسي على أرض المغرب، سواء فيما يتعلق بمظهره العام أو تفاصيله الزخرفية الدقيقة، اللوحة (3)، فهو بصفة عامة أقرب ما يكون إلى محاريب مساجد العصر المريني، التي اتسمت بثرائها الفني وغناها الشديد بكافة العناصر الزخرفية النباتية، الهندسية، والنقوش الكتابية، والتي نجد صداها جميعاً بقوة - إلى حد التطابق في بعض الأحيان - ضمن زخارف

اللوحة (1): الثريا الكبرى

اللوحة (2): النقش التسجيلي لتوسعة بلاط القبلة

اللوحة (3): المحراب

واجهة هذا المحراب، بما يدل على استمرار آثار ذلك الطراز الأندلسي في العمارة المغربية حتى بعد سقوط دولة الإسلام بأرض الأندلس، ليسير جنباً إلى جنب - في عزة وشموخ رغم ما اعتراه من تقهقر وتراجع عام - مع الطرز الفنية الأخرى الوافدة خلال ذلك العهد الإسماعيلي، ممثلة في الطراز الفني العثماني (التركي)، والطراز الفني الأوروبي.

مجلس الأسبوع

هو أيضاً من بين أعمال الإضافة بالجامع على عهد المولى إسماعيل ضمن توسعته الكبرى للبلاط الأول من بيت الصلاة، حيث يقع على يسار المواجه للمحراب، مُعَلّقاً فيما بين الجدار الشرقي للجامع والمدرسة الفيلالية، أعلى سماط العدول، اللوحة (4)، غير أنه كان هناك مجلس سابق له بهذا الجامع من أعمال الأمير أبي زكريا الوطاسي (ت 852هـ / 1447م)، فلما تمَّ توسعة المسجد في عهد السلطان إسماعيل أعيد بناؤه مرة أخرى، وإلى هذا أشار ابن غازي ضمن ترجمته لأبي زكريا الوطاسي بقوله: (وأنشأ بجامعها المجلس المسمى «الأسبوع»، لكون القُرّاء يجتمعون فيه لقراءة القرآن العزيز في كل أسبوع)[6]. ومن تلك الإفادة المهمة يتضح أنَّ الهدف الذي كان من وراء إنشاء هذا المجلس، هو اجتماع قُرّاء القرآن فيه

(5) انظر: راشد (رامي ربيع): عمارة المساجد بمدينة فاس بالمغرب الأقصى في عصر بني مرين 668 – 869هـ / 1269 – 1464م: دراسة آثارية معمارية فنية. رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآثار، قسم الآثار الإسلامية، 1437هـ / 2016م، مج 1، ص617 – 625.

(6) العثماني (محمد ابن غازي): الروض الهتون في أخبار مكناسة الزيتون. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، 1408هـ / 1988م، ص41.

«الأسبوع» مجلس أسَّسه أبو زكريا الوطاسي يُختم فيه القرآن كل أسبوع

ليختموه بهذا المسجد الجامع مرة كلَّ أسبوع، ولم يزل العمل جارياً بذلك - منذ إعادة بنائه على عهد المولى إسماعيل - إلى وقت غير بعيد[7].

الجدير بالذكر هو أنَّ بداية ظهور هذا المجلس بعمارة مساجد المغرب الأقصى، إنما كان خلال العصر المريني، وفي عهد السلطان أبي عنان فارس تحديداً بمدرسته المتوكلية من حاضرة فاس، فيما بين عامي (751 - 756هـ / 1350 - 1356م)، ثم تتابع إحداثه خلال ذلك العصر وما تلاه ببعض المساجد الكبرى الجامعة، حسبما أُضيف إلى جامع القرويين عن يسار قبلة الجامع، خلال عهد الأمير المستعين بالله أبي سالم المريني، عام (762هـ / 1360م)[8]، وكما ألحق بالجامع الأعظم من فاس الجديد، في عهد الأمير المستنصر بالله أبي فارس بن أبي العباس أحمد المريني، عام (798هـ/ 1395م)، ولعلَّ الغالب على الظن أنَّ عادة ختم القرآن مرة كل أسبوع في تلك المجالس الملحقة بمساجد المغرب الأقصى، إنما كانت تحت التأثير المشرقي، المنتقل إليها من الأندلس خلال عصر بني نصر بغرناطة (635 - 897هـ / 1237 - 1492م)[9].

السقايات

هي كذلك من أعمال الإضافة لهذا الجامع الأعظم في عهد السلطان المولى إسماعيل العلوي، وموقعها بمؤخر المسجد على يمين الداخل من المدخل الرئيس الشمالي الغربي، اللوحة (5)، وعلى الرغم من أنَّ اتخاذ السقايات - للسقيا والوضوء - بالمساجد الجامعة في المغرب الأقصى والأندلس ظاهرة معروفة منذ القدم، بيد أنَّ السقايات التي معنا بهذا الجامع، تعكس زخارف واجهاتها المنفذة ببلاطات الزليج متعددة الألوان، أسلوباً متطوراً من أساليب الزخرفة بالأشكال الهندسية المعروفة بـ«الأطباق النجمية»، والتي زادت هنا تعقيداً في التصميم، لتكون جديرة بأن يُطلَق عليها الزخرفة «العنكبوتية»[10]، بحيث

اللوحة (4): مجلس الأسبوع

اللوحة (5): السقايات

يمكن اعتبارها إحدى السمات التطويرية المهمة في الزخرفة الهندسية ببلاطات الزليج خلال العصر العلوي، كما لا تفوت الإشارة إلى تلك الأزهار والأوراق النباتية المعروفة في الطراز الفني العثماني، ممثلة في كل من زهرة القرنفل وأوراق الساز، التي نراها تزيِّن أعلى واجهات بعض الألواح الرخامية التي يخرج منها أنابيب الماء، وهي خاصية فنية أخرى حظيت بالانتشار كذلك خلال العصر العلوي، في أعمال الزخرفة على كافة المواد

(7) ابن زيدان: إتحاف أعلام الناس. جـ 1، ص107 – 109.

(8) الجزنائي (أبو الحسن علي): جنى زهرة الآس في بناء مدينة فاس. تقديم: عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، 1387هـ / 1967م، ص76 – 77.

(9) انظر: راشد: عمارة المساجد بمدينة فاس. مج1، ص413، هامش (3).

(10) باكار (أندريه): المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة. تعريب: سامي جرجس، دار أتولي 74 للنشر، د.م، 1981م، جـ1، ص256.

زخارف السقايات تعكس أسلوباً متطوراً للزخرفة الهندسية المعروفة بالأطباق النجمية

المستعملة في العمارة المغربية وفنونها بشتى فروعها، حسبما تتجلّى هنا أيضاً - بصورة أكثر بروزاً ومحاكاةً لنظائرها بالفن العثماني - في زخرفة بنيقتي (كوشتي) العقد الزخرفي المؤطر للنقش التسجيلي لتلك السقايات، اللوحة (6).

- وعلى النقش التسجيلي لهذه السقايات، اللوحة (6)، فهو يتوسَّط أعلى ما بين السقايتين المتجاورتين، نقرأ:

الحمد لله وحده

وصلى الله على من لا نبيَّ بعده

تأمّل بعد حمد اللـه حُسني

وصلّ على محمد الشفيع

فما أبصرْت في الدنيا كشَكلي

أُذكّر زَهر أيام الربيع

وللوراد أَسقي سلسبيلاً

فلِي فخْر بذاك على الجميع

بجامعنا الكبير سموْت قدراً

عَلا شرَفي بجانبها المنيع

بأمر إمامنا المنصور شادوا

بنائي الرائق الأبهى الرفيع

وتاريخي أمعطاش هنيئاً

وقاك الله من ظمأ وجوع

من أهم ما يعكسه هذا النقش التسجيلي، هو الإشارة

اللوحة (6): النقش التسجيلي للسقايات

اللوحة (7): العنَزة

إلى تاريخ الإنشاء بطريقة «حساب الجُمل»، في كلمة (أمعطاش)، والتي يقابل مجموع حروفها - وفق التأريخ المغربي - عام (1121هـ / 1709م)، وتلك الطريقة في التأريخ، هي كذلك إحدى السمات المهمة التي انتشر تداولها بكثرة في النقوش التسجيلية على العمائر والفنون التطبيقية خلال العصر العلوي، خلافاً للعصور السابقة، التي لم تشهدها إلا بصورة محدودة خلال العصر السعدي (961 - 1069هـ / 1553 - 1658م)، السابق له[11].

العنَزَة

تقف شامخة بجمالها وجلالها لتطلّ على صحن الجامع عند نهاية البلاط المحوري من بيت الصلاة، اللوحة (7)، والغرض الوظيفي من هذه العنَزات - التي انتشر تداولها بمساجد المغرب الأقصى منذ العصر المرابطي على أقل تقدير - هو أن تكون سُترة للإمام - وليست محراباً ثانياً كما يراه الباحثون - يمرُّ خلفها من شاء دون قطع لصلاته، حسبما تؤكده الأحكام الفقهية، إذ كانت العادة - ولا تزال - جارية بالصلاة في صحون المساجد الجامعة أيام الصيف، حيث

(11) انظر: عوني (الحاج موسى): فن المنقوشات الكتابية في الغرب الإسلامي. مدونة الكتابات المنقوشة السعدية والعلوية بمدينة فاس: دراسة تاريخية وفنية. منشورات مؤسسة الملك عبدالعزيز آل سعود للدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية، الدار البيضاء، 2010م، ص590.

النقوش التسجيلية في المسجد تشير إلى تاريخ الإنشاء بطريقة «حساب الجُمل»

اللوحة (8): النجمة السداسية تزيِّن إحدى حشوات العنَزة

ساحة المسجد تعج بالمصلين في المسجد الأعظم بمكناس

التهوية الجيدة، والجو اللطيف.

- ترجع هذه العنَزة إلى أعمال الإضافة والتجديد خلال عهد السلطان المولى إسماعيل أيضاً، حسبما يستفاد من بعض النصوص التسجيلية المنقوشة عليها، والتي في أحدها نقرأ ما نصُّه:

لك الحمد يا الله والأمر كله

فصَلّ على سر الوجود محمد

إمام الورى طرّاً وقبله آدم

نبيٌّ أتى بالخَمْس في كل مسجد

ومعجزة القرآن أكبر آية

فطوبى لمن يتلوه عند تهجّد

على العَنَزات الفضل لي لتقرري

بمكناسة دار الإمام المؤيد

وجامعه أكرم بيت للهنا

فكم حلّه من عالِم متعبّد

وتاريخ إنشائي وإظهار بَهجتي

وحُسني فشا مجد تراه بمشهد

وصلّ إله العرش في كل لحظة

على أحمد الهادي وأشرف سيّد

بهذا النقش التسجيلي كان تأريخ تلك العنَزة بطريقة «حساب الجُمَل» كذلك، في كلمتي (فشا مجد)، والتي يقابل مجموع حروفها عام (1128هـ / 1715م).

من جانب آخر، فإنَّ هذه العنَزة تزخر بالعديد من الحشوات الخشبية التي نُقِشَت بشتى الزخارف النباتية المتنوعة، كالتوريقات والأفرع والأوراق الكأسية، في أوضاع تناظرية بالتقابل والتدابر، غير أنها تدلُّ على فقر وتراجع كبير في فن النقش على التحف التطبيقية الخشبية، مقارنة بما كانت عليه الحال خلال العصر المريني، على أنَّ الذي يلفت الانتباه من بين زخارف تلك الحشوات، حشوة متفردة -لا ثاني لها بتلك العنَزة- تتوسطها نجمة سداسية، مكوَّنة من تداخل مثلثين متقابلين؛ أحدهما في وضع قائم والآخر في وضع مقلوب، وهي التي تُعرَف في العصر الحديث بـ«نجمة داوود»، اللوحة (8) . فيما يبدو أنَّ هذه الزخرفة المتفردة بهذه الحشوة إنما كان الغرض منها هو أن تكون طلسماً (تعويذة)، لدفع أيِّ أذى أو ضرر يمكن أن يَعرض لتلك العنَزة المتفردة كذلك بالحسن والجلال خلال ذلك العهد الإسماعيلي العلوي، وذاك - الطلسم - أمرٌ ليس بغريب على العمارة والفنون الإسلامية، بل نجد له أمثلة ونماذج كثيرة أشارت إليها المصادر التاريخية بكل من بلاد المغرب والمشرق على السواء.

* مدرس عمارة وفنون المغرب والأندلس
كلية الآثار – جامعة الفيوم - مصر

آثارها ومخزوناتها التراثية الغنية جعلتها محطَّ أنظار كبار الرحّالة والمستكشفين

مسّه

المدينة المنسية التي بهرت العالم

ريتشارد نورتون*

ترجمة: حسين حمد حسين الفقيه*

حظيت كيرينايكا باهتمام أكبر الرحّالة والمستكشفين والعلماء والباحثين في مجال الآثار والكلاسيكيات، وذلك بسبب ما تحتفظ به من آثار وتراث نال إعجاب كلَّ شعوب العالم الحديث، وكانت أيضاً وجهة كلِّ الباحثين عن المغامرة والاستكشاف والبحث العلمي بشتى فروعه.

من هذا المنطلق تمَّ تنظيم بعثة أثرية عام 1910م للتنقيب في منطقة كيرينايكا بليبيا برعاية المعهد الأثري الأمريكي، وكان البروفيسور ريتشارد نورتون هو المشرف على هذه البعثة، وبعد أن زار مدينة كيريني القديمة، قام برحلة من بنغازي إلى منطقة مسّه الأثرية في كيرينايكا، وقد تمَّ نشر تقاريره عن الرحلتين في النشرة التي كانت تصدر من المعهد الأثري الأمريكي، حيث قام بتوثيق الآثار التي شاهدها في صور فوتوغرافية، وقام أيضاً برسم مخططات، وخريطة توضيحية لأهم المعالم الأثرية في مسّه، ويعدُّ هذا التقرير وثيقة مهمة جداً لتلك المعالم، خاصة بعد أن تعرَّضت تلك الآثار لحوادث الاعتداء من تجريف ومسح للأراضي الواقعة عليها.

الآثار في مسّه[1]

عندما كنت في بنغازي في مايو الماضي، أخبرني العرب بوجود آثار تحت الأنقاض في منطقة تُسمّى

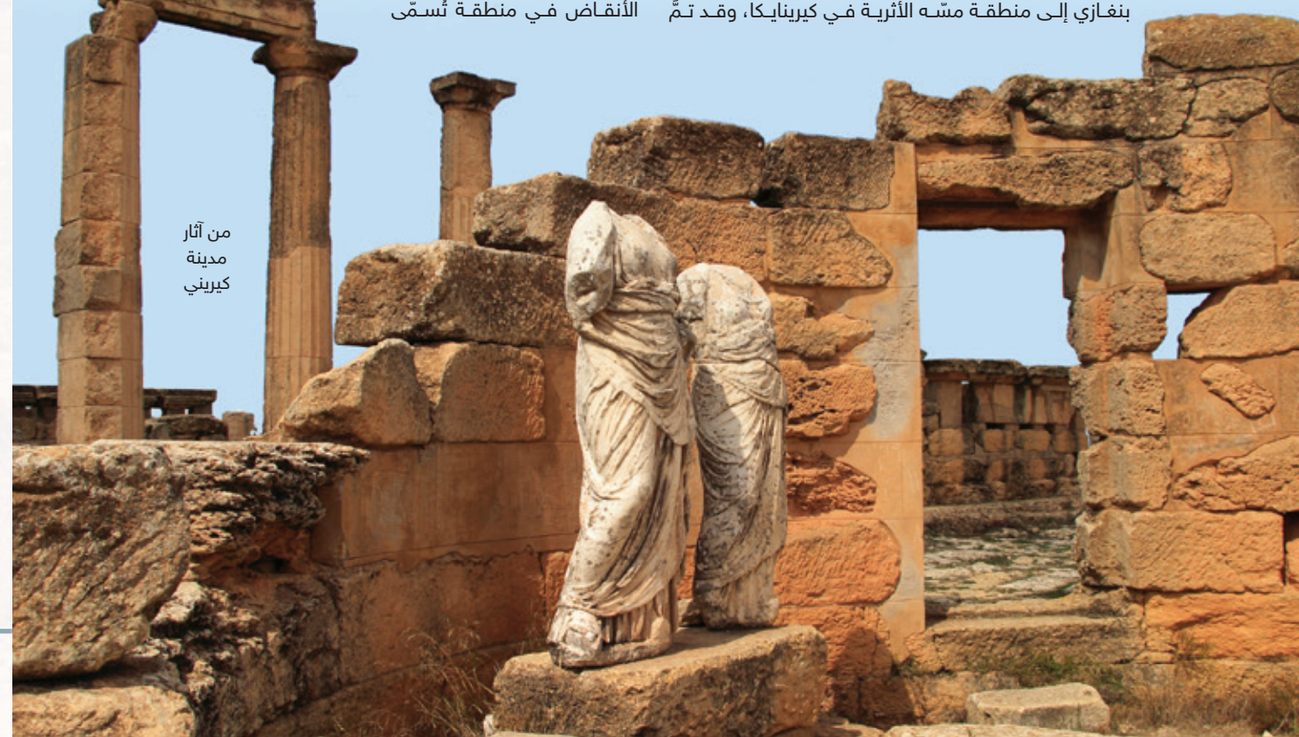

من آثار مدينة كيريني

> آثارها كانت تحت الأنقاض على بعد بضع ساعات جنوب شرق مدينة كيريني

(مسّه Messa)، على بعد بضع ساعات جنوب شرق مدينة (كيريني Cyrene). إنَّ هذا الاسم «مسّه» غير موجود على أي من الخرائط القديمة، ولم يتم زيارة المكان -على حد علمي- من قِبَل أيِّ باحث من علماء الآثار؛ وقد قامت لجنة منظمة الأراضي اليهودية في المخيم هناك في أغسطس عام (1908م)، بذكر المكان بإيجاز في تقريرها المنشور[2].

بما أنني كنت أشكُّ منذ فترة طويلة في أنه يجب أن تكون هناك مدينة أو أكثر من المدن القديمة المهمة بين كيريني و(المرج Merdj)، فقد صمَّمت على زيارة مدينة مسّه ومعرفة آثارها. من الصعب للغاية الحصول على معلومات دقيقة عن أيِّ موضوع من العرب المحليين، لذلك عندما غادرت بنغازي لم أكن على يقين من العثور على مكان مدينة مسّه القديمة. وعندما وصلت إلى المرج، وجدت هناك مرشداً يعرف الطريق هناك.

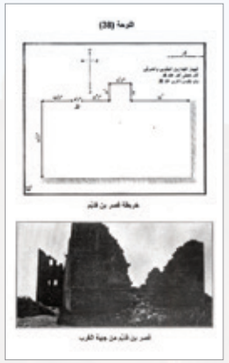

اللوحة 38: خريطة قصر بن قديم - قصر بن قديم من جهة الغرب

اللوحة 39: قصر بن قديم - منظر من الشمال باتجاه البحر

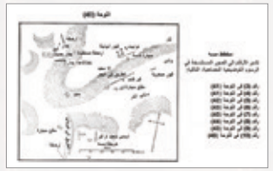

اللوحة 40: مخطط مسه

طريق وعر

إنَّ الطريق من المرج إلى كيريني يمرُّ عبر بلد صعب للغاية إلى منطقة بئر (الغريب El Garib) (نحو 1050 قدماً فوق سطح البحر على مقياس الجهاز اللاسائلي)، والتي تبعد نحو ست ساعات. وبسبب وجود المياه هنا، قمنا بالتخييم ليلاً، وفي اليوم التالي انطلقنا على درب وعر إلى قصر منطقة (قصر بن قديم Kasr Benigdem)[3]. لقد أخذنا وقتاً للراحة في منتصف النهار، وامتطينا سروج الخيل لمدة ثماني ساعات حتى وصلنا إلى قصر بن قديم. هنا كنت أتوقع التخييم، بعد أن قيل لي إنه كان هناك ربيع. إنَّ القلعة الرائعة والآثار الأخرى تظهر في الجزء العلوي من الطريق، والمياه القديمة كانت موجودة، ولكن في الوقت الحاضر لا يمكن العثور على أي أثر لها، على الرغم من أنَّ النمو الكثيف للأشجار والشجيرات يشير إلى وجود إمدادات مخفية.

في قصر بن قديم هناك وادٍ واسعٌ يؤدي شمالاً إلى البحر، وأعتقد أنَّ المزيد من البحث سيُظهر أنَّ الطريق في هذا الوادي يؤدي إلى مسّه (انظر اللوحة: 39). ونظراً لعدم قدرتنا على التخييم في قصر بن قديم، انتقلنا إلى (شيريز Sheriz)، على بعد نحو ميلين أسفل الوادي إلى الشمال الشرقي. هذا المكان، حيث يعيش عدد قليل من العرب المحليين، توجد به مقابر قديمة منحوتة في الصخور على جانب التل، على رأس الوادي، والذي قيل لي إنه يؤدي إلى بلدة (درنة Derna). هنا يوجد صهريج قديم رائع تحت الأرض، حيث توجد المياه حتى في الصيف الحار، وكذلك محطة التلغراف التي يأخذ فيها العرب، على نحو غير نادر، فرصة للتصوير أثناء مرورهم. وهي على خط درنة – المرج - بنغازي.

نحو مسّه

في اليوم التالي، 13 يونيو، جعلت رياح القبلي (الرياح

(1) تم الكشف عن أطلال مسّه في تقرير وجيز في نشرة سبتمبر 1910م، ومجلة (Nation) في 27 أكتوبر 1910م. (المؤلف)

(2) London, 1909, pp, 4, 31.

(3) إن الرحالة الذين سيمرون بمنطقة الغريب في فصل الصيف لاحقاً، ربما سيجدون البئر جافة أكثر مما وجدته. (المؤلف)

تُظهر طبيعة الصخور المنحوتة ونوع القوالب على بعض المقابر أنها كانت مدينة يونانية

رغم وجود آثار لمخيمات حديثة لم يجد الرحّالة في مسّه أي أشخاص يمدّونهم بالغذاء

الصحراوية) من السفر أمراً مستحيلاً، لذلك، في وقت مبكر من الصباح، عدت إلى قصر بن قديم لتصوير ودراسة هذه الآثار بشكل أكثر دقة. وقد أرفقت بهذا التقرير مخططاً وصوراً (اللوحة: 38). وفي فترة ما بعد الظهر، أصبح الجو صافياً، ففي غضون عشر دقائق انحرفت الريح إلى الشمال الغربي، وبدأت القافلة بالمسير إلى مسّه. وبدلاً من العودة نحو قصر بن قديم، قمنا بالمسير عبر وادٍ جميلٍ مملوء بالأشجار، أو بالأحرى هو عبارة عن ممر ضيق، تتبعناه لمسافة ثلاثة أميال إلى الشرق. ثمَّ انحنى درب الممر لمسافة قصيرة إلى الغرب، ثمَّ انحنى باتجاه الشمال الشرقي لنحو ميلين صعوداً إلى قمة سلسلة التلال إلى المرابط (سيدي عبد الواحد Sidi Wahab)، حيث يمكن للمرء رؤية قصر بن قديم ناحية الجنوب. من هنا أدى بنا المسار إلى بلد وعر ومائل في الاتجاه الشمالي الشرقي بشكلٍ عام لنحو أربعة أميال إلى بلدة مسّه.

اللوحة 41: مسه - آثار قبور أيونية

اللوحة 43: مسه - أساس لمعبد أو قبر - قبور صخرية

اللوحة 42: قبر أيوني

اللوحة 44: قبور صخرية

اللوحة 45: الطريق القديم إلى البحر

اللوحة 46: الطريق القديم إلى كيريني

ظروف صعبة

نصبنا مخيمنا تحت بعض أشجار التين البرية التي تنمو بالقرب من نبع كبير، وقضيت الدقائق الأخيرة من ضوء النهار لإلقاء نظرة عامة على الآثار. وفي صباح اليوم التالي أرسلت الأمتعة ومعظم الرجال إلى كيريني. على الرغم من وجود آثار لمخيمات حديثة، لم يكن هناك سكان من أي نوع هنا في مسّه يمكننا من خلالهم الحصول على الخبز أو الحبوب. وبقيت في الخلف لألتقط الصور والخريطة التقريبية التي أرفقتها في هذا التقرير. لقد قمت برسم الخريطة (انظر اللوحة: 44) في ظروف سيئة بواسطة بوصلة موشورية؛ وهي تخدم فقط إظهار الوضع العام للأرض والموقع التقريبي للآثار الأكثر وضوحاً.

مقابر صخرية

تقع مدينة مسّه القديمة على نفس حافة الهضبة التي تقع عليها كيريني. الينبوع الرئيس يقع في تجويف، والماء يتدفق في اتجاه الجنوب، ولكن في اتجاه ليس ببعيد، حيث يتجه إلى الشمال، ثمَّ يتجه نحو البحر. فيما يخص الآثار؛ هي عبارة عن كميات من الكتل المربعة وآثار للمباني، على الرغم

تقع معظم الآثار على الأرض العليا إلى الغرب والشمال والشرق من المنطقة

محاجر فيها العديد من المقابر الصخرية وتوابيت كبيرة قائمة بذاتها ومقابر مبنية

من أنَّ العديد من الجدران من الواضح أنها حديثة ومبنية من قِبَل العرب المحليين، الذين يستخدمون المكان كأرض للتخييم. وتقع معظم الآثار على الأرض العليا إلى الغرب والشمال والشرق من المنطقة. هناك محاجر فيها العديد من المقابر الصخرية. وهناك توابيت كبيرة قائمة بذاتها ومقابر مبنية، وهناك منصات للمباني (انظر اللوحتين: 41-44)، وهناك طريقان متميزان، يقعان لمسافة ميل أو أكثر، وهي آثار لجميع أنواع الإنشاءات، ولكن لا يمكنني العثور على جزء من أي نقوش. يؤدي أحد الطريقين شمالاً لنحو ميل إلى حافة الهضبة، ويبدو أنه يتبع الوادي العميق الذي يفتح نحو البحر (اللوحة: 45). أمّا الطريق الآخر فيؤدي إلى الشرق باتجاه (الزاوية البيضاء Zawiya Beda)، والمُرابط سيدي (رافع Sidi Raffa)، وإلى كيريني، التي يتمُّ الدخول إليها من الجنوب الشرقي.

وتبلغ المسافة من مسّه إلى كيريني (إلى حيث يوجد نبع أبولّو هناك) نحو خمسة عشر ميلاً، وبالنسبة إلى الجزء الأكبر من المسافة، يتمُّ تمييز الطريق بوضوح؛ إمّا بالمقابر والمباني على الجانبين، وإمّا بوجود الطريق المرصوف حالياً. ولا يمكن أن يكون هناك شك في أن هذا الطريق كان طريقاً مهماً رئيساً من كيريني إلى الغرب، وأن مسّه كانت فرعاً مهماً من كيريني.

عصور مختلفة

مما لا شك فيه أنَّ آثار مسّه تعود إلى عصور مختلفة، لكنني لم أرَ شيئاً يبدو متأخراً مثل ما يمكن رؤيته في بلدة (توكرة Tokra) أو (طلميثة Tolmeta)، وتُظهر طبيعة الصخور المنحوتة ونوع القوالب على بعض المقابر أنَّ هذه كانت مدينة يونانية، وقد سُكِنَت على الأقل في وقت مبكر من القرن الرابع قبل الميلاد. المظهر العام للمكان يشبه إلى حد كبير كيريني. ومن الواضح أنه كان مكاناً مهماً ومن المأمول فيه أن يحصل المعهد الأثري على الحق في حفر وتنقيب الموقع، وليس هذا لسبب آخر سوى أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً بمدينة كيريني.

من آثار مدينة كيريني

*** ريتشارد نورتون (1872-1918م): عالم آثار أمريكي مشهور، ولد في 9 فبراير 1872م في دريسدن، بألمانيا، وعمل مديراً للمعهد الأثري الأمريكي ومتحف بوسطن للفنون الجميلة والتنقيب عن آثار مدينة (كيريني Cyrene) القديمة في كيرينايكا (ليبيا) في الفترة 1910-1911م. توفي ريتشارد فجأة بسبب التهاب السحايا في 2 أغسطس 1918م في باريس، وعمره 46 عاماً، بعد مرض لمدة يوم واحد.**

**** محاضر بجامعة السيد محمد بن علي السنوسي الإسلامية، كلية التاريخ والحضارة، قسم الحضارة.**

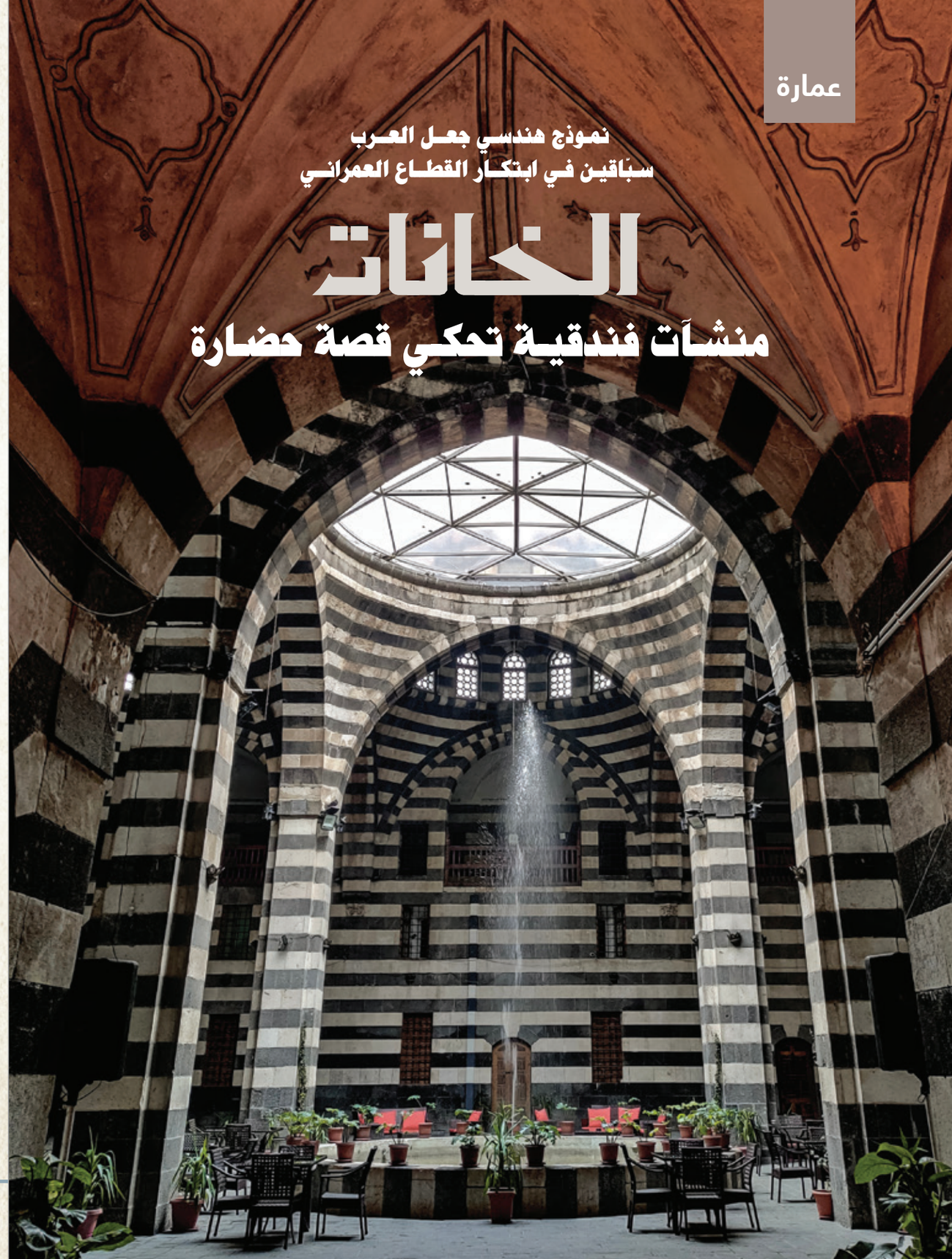

نموذج هندسي جعل العرب سبّاقين في ابتكار القطاع العمراني

الخانات

منشآت فندقية تحكي قصة حضارة

خلف أحمد محمود أبو زيد*

أطلقت كلمة خان، على مكان نزول المسافرين وقوافل التجار والمبيت فيه. وشكّلت الخانات حلقة أساسية في تطوُّر العمارة العربية والإسلامية، وفي تاريخ تطوُّر المنشأة التجارية الفندقية، ونظم التجارة عند المسلمين، حيث إنَّ العمارة التجارية الإسلامية، التي أطلق عليها اسم الخان، كانت النموذج الهندسي الوظيفي، الذي جعل العرب سبّاقين في ابتكار هذا القطاع العمراني، وتصميمه والتوسُّع في بنائه، وزيادة الاهتمام به بسبب انتشار التجارات وكثرة الأسفار لأغراض مختلفة، وازدهار حركة العمران في بلاد المشرق والمغرب، لا سيما إبان العصرين المملوكي والعثماني، حيث كان لها دورٌ كبيرٌ في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، بل والثقافية أيضاً، حيث مثّلت حلقة اتصال بين طلاب العلم، ومجمعاً للتجار الذين كانوا يتبادلون السلع، ويعقدون الصفقات بين أرجائها.

تطوُّر مصطلح الخان

وإذا نظرنا إلى كلمة خان، فهي كلمة فارسية معرَّبة استخدمت للدلالة على منشآت معمارية خاصة لاستراحة وإقامة ومبيت القوافل التجارية والمسافرين وغيرهم فيها، سواء أكان ذلك على الطريق أم في المدن، ويُقدَّمُ لهم الطعام والشراب، وفيها أماكن لنوم التجار والحجاج والرحّالة والمسافرين. وقد تطوَّر مصطلح الخان عبر الزمان، فقد أُطْلِقَ عليه في القرن الرابع الهجري اسم «التيم» وتحديداً في منطقة بلاد ما وراء النهر، ثمَّ أُطْلِقَ عليه كلمة «الدار»، وذلك على منازل المسافرين في كل من سوريا والعراق، ثمَّ تدرَّج اللفظ إلى «دار الوكالة»، التي ترادفت مع انتشار القوافل القادمة إلى داخل المدن، خلال القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي، ثمَّ إلى كلمتي «الفندق» و«القيسارية» اللتين شاعتا خلال القرن السابع الهجري، الثالث عشر الميلادي، حيث حلَّت كلمة الخان محل الكلمات السابقة، وأصبحت تُطْلَقُ على أبنية المسافرين داخل المدن وخارجها، حتى استقرَّ مصطلح الخان على معنى المؤسَّسة التجارية الحرفية الفندقية، وكان ذلك في العهدين المملوكي والعثماني(1).

جانب من خان أسعد باشا

ظهور الخانات وموقعها

لو أردنا أن نتتبَّع نشأة الخانات كمنشآت معمارية لاستقبال القوافل التجارية والمسافرين والحجيج، بل وحتى الضيوف والعلماء والرحّالة وغيرهم من عابري الطريق، فإنَّ البداية كانت من العصر الجاهلي، فكانت هناك أماكن أو مناطق معينة تتوقَّف عندها قوافل التجارة والقبائل، كان يُطْلَقُ عليها في العصر الجاهلي كلمة منزل، وأصبحت هذه الكلمة مستخدمة طيلة العصر الجاهلي، واستمرت أيضاً في العصر

خان أسعد باشا في دمشق تحفة معمارية عز لها نظير

المنزل في العصر الجاهلي بداية فكرة إنشاء الخانات الإسلامية

الإسلامي، ومن هنا يمكننا أن نعتبر أنَّ المنزل في العصر الجاهلي لاستقبال القوافل والقبائل، هو بداية لفكرة إنشاء الخانات الإسلامية، ثمَّ تأتي المرحلة الثانية لتطوُّر فكرة إنشاء الخانات وهي دار الضيافة، التي أنشاها عمر بن عبد العزيز في بداية العصر الإسلامي، في العديد من المدن الإسلامية، وفي بعض المنازل المهمة على طريق الحج، وكانت هذه الدور تُقَدِّمُ الضيافة من الطعام والشراب، واستمرت هذه المنشآت تؤدي وظيفتها حتى نهاية العصر الأيوبي، ومن ثمَّ أطلق على الخانات التي ظهرت وكانت تقدِّم الطعام مجاناً خاناً أو فندقاً، وفي أكثر الأحيان «خان السبيل»، واستمرت دار الضيافة مستخدمة إلى جانب الخانات حتى نهاية العصر المملوكي، وبعدها انهارت مع انهيار الدولة المملوكية.

واللافت للنظر أنَّ هذه المنشأة الخدمية، لم يتوقَّف بناؤها على عاتق الدولة الإسلامية فقط، فقد قام أهل الخير والغنى بإنشاء هذه الخانات والفنادق في طول البلاد وعرضها، ابتغاء الأجر والثواب من الله عز وجل، واللافت للنظر أيضاً اشتراك بعض المحدثين وطلبة العلم في إنشائها؛ فهذا المحدث أحمد بن محمد الأستراباذي يبني خاناً في بلدته آستراباذ في شمال إيران فيشتهر به. وهذا أبو جعفر محمد بن عاصم الشهير بصاحب الخانات، المحدث الشهير في بغداد(2). ومن أقدم المصادر التاريخية التي ذكرت الخانات واهتمام ولاة المسلمين ببنائها، ما أورده ابن سعد في كتابه «الطبقات الكبرى» فقال: «كتب عمر بن عبد العزيز أن تعمل الخانات بطريق خراسان»(3)، كما ذكرها المؤرخ البلاذري عام 279هـ، حيث

خان الصابون في طرابلس اللبنانية

كان وجود الخانات ضرورياً نتيجة للمساحة الشائعة للدولة الإسلامية وامتدادها من بلاد ما وراء النهر شرقاً، إلى المغرب والأندلس غرباً، ومن بلاد الروم شمالاً إلى بلاد النوبة والسودان جنوباً، وهو ما أدى إلى التمازج بين هذه الدولة وازدهار حركة العلم، وتنقل طلابه في ربوع البلاد طلباً له، وازدهار حركة التجارة والمعاملات الاقتصادية، فكانت الخانات تخفّف على هؤلاء من عناء ومشقة السفر.

أمّا عن موقعها فكانت تقع داخل المدن وعلى طريق القوافل، والثابت أنَّ ذلك يرجع إلى العامل الوظيفي للخان، من حيث كونه منشأة تجارية حرفية، الأمر الذي يفسّر وجوده في المدن قريباً من المرافئ والأسواق، وعلى مسافات، احتسبت بالأيام على طريق القوافل، تمكيناً للتجار من الاستراحة ليلاً بعد طول المسير؛ فالخان كان عبارة عن نزل للاستراحة على طريق القوافل، المختلفة بين المدن، وعند مداخل أسواقها، وكانت المسافات ما بين خانات الطرق مسيرة يوم أو ما يقرب من ثلاثين كيلومتراً(4).

> انتشرت الخانات في شتى البقاع على نفقة أهل الخير ابتغاء الثواب

الطراز المعماري للخان

وإذا نظرنا للتخطيط الهندسي للخان، نجد أنه كان يخضع للمقتضيات التجارية والحرفية والأمنية، من حيث وجود المخزن والمسكن في مكان واحد، مع ضمان أمن التاجر وأمن بضاعته، فقد كانت في أول عهدها بسيطة الشكل، تؤدي الحاجة المطلوبة منها، ثمَّ سرعان ما تطوَّر شكل الخان ونمطه ليلبي الغرض المرجو منه متأثراً بالثقافة والعمارة الإسلامية؛ فقد جرت العادة أن يتألف الخان من باب كبير ذي مصراعين ضخمين يتسعان لدخول الرواحل، المحملة بالبضائع، أو باب كبير واحد فيه باب صغير في وسطه يسمى الخوخة، لدخول الناس، إذا لم يكن هناك حاجة لفتح الباب الكبير، وهذا الباب تحيط به واجهة مزخرفة ذات عقود وأبراج، يؤدي إلى باحة سماوية واسعة، قد تتوسطها بركة ماء وتحفّ بالباحة حجرات متنوعة ومحلات لإيداع البضائع أو بيعها، ومكاتب للتجارة توزع فيها العروض وما إليها، إضافة إلى المسجد وبئر الماء في جانب تلك الباحة، وثمة أقسام ملحقة بهذا الطابق الأرضي لإيواء الدواب وفيه أيضاً بيطريون وعلف للرواحل، وفوق هذا الطابق الأرضي طابق علوي، مخصَّص لنوم نزلاء الخان من المسافرين والتجار وطلاب العلم، الوافدين من بلاد مختلفة، فيجتمعون في الخان، الذي يشرف على إدارته رجال مهمتهم تجهيز النزلاء بما يحتاجون إليه من مبيت وإقامة، تضاف إليهم عمال يقومون بتنظيم أمور الخان وتنظيفه(5). ونجد هذا التخطيط والتنظيم الفريد للخان في العديد من الخانات، التي أسهبت المصادر والكتب التاريخية في وصفها، والتي من أشهرها خان الإفرنج الذي كان عبارة عن بناء مستطيل الشكل، مغلق على الخارج، ومفتوح حول فناء داخلي، وهو مؤلف من طابقين: الأول عبارة عن دكاكين وزرائب ومستودعات للبضائع، والثاني منازل معدة لسكن التجار، وأيضاً في خانات طرابلس التي كان يتوسطها غالباً حوض ماء خاص بالدواب وبئر ماء،

كان وجود الخانات ضرورياً نتيجة للمساحة الشائعة للدولة الإسلامية وامتدادها

وأيضاً في الخانات التي ازدهرت عمارتها في عصر المماليك تبعاً لازدهار طرق التجارة العالمية بين الشرق والغرب، وكان من أبرزها ما أنشئ بين حلب والقاهرة، وكانت عمارته عبارة عن مسقط مستطيل بغير نوافذ خارجية، يتوسطه فناء داخلي به بئر للمياه، يحيط به من جهاته الأربع رواق تفتح عليه غرف معقودة بأشكال نصف دائرية، أو بأقبية متقاطعة وبه مصلى وحمام وإسطبل، وحوض لشرب الدواب وفرن، وله مدخل تذكاري بارز.

أما عن التحلية الزخرفية، فنجد أنَّ الخان عموماً قد خلا من التحلية الزخرفية، إلا في النادر، ومن ذلك أبيات شعرية وجدت في الخان الذي بناه في بيروت سيف الدين تنكيز، الذي توفي سنة 741هـ، والذي أمر بأن تعلق على بابه أبيات شعرية، تتغنى به والسلطان، والمعروف أنَّ الكتابات الشعرية كانت عنصراً زخرفياً، إلى جانب كونها عنصراً تاريخياً، ومن ذلك أيضاً أنَّ خان الشاويش في طرابلس له باب بقنطرة مقرنصة عليها كتابة قديمة قد محاها الزمن(6).

خان مرجان في بغداد

خان الوزير في حلب

أشهر هذه الخانات

قد تفاوتت هذه الخانات من حيث الشهرة والأهمية، والضخامة، وقد اندثر بعضها، وبقي بعضها الآخر حتى اليوم شاهداً حياً ومعلماً، من معالم الحضارة الإسلامية، من حيث عنايتها بالمسافرين، وحسن استقبالهم، ريثما يتمّون تجارتهم؛ إذ كان كثير من هذه الخانات موقوفاً، والوقف كما هو معروف حبس الأصل، وتسبيل المنفعة ابتغاء لرضا الله وثوابه، إذ كان أهل اليسار والغنى يوقفون على هذه الخانات أوقافاً لعمارتها وتجديدها وتقديم ما يلزم للمسافرين والتجار

اشتملت الخانات على شتى المواصفات الخدمية التي تهتم براحة النزلاء وتعتني حتى بدوابهم

وطلبة العلم والقائمين عليها من وسائل الراحة والأمان. ومن أشهر هذه الخانات في دمشق خان أسعد باشا في سوق البزورية، وخان الحرير، وخان الزيت، وخان الخياطين أو الجوخ، وفي حماة خان الصحن، وخان الحنة أو الحناء، وخان رستم باشا، كما اشتهرت حلب بخاناتها الأثرية الكبيرة، التي لا تزال شامخة إلى اليوم، والتي من أشهرها خان الوزير، وخان الحرير، وخان الصابون، وخان الجمرك، الذي كان عظيم الاتساع، ويعود تاريخه إلى عام 1574م، فقد ضمَّ اثنين وخمسين مخزناً، وسبعاً وسبعين غرفة، وسوقين مبنيين بالحجر المهندم، يصل إليهما الضوء من قباب عشر تعلوهما، وكان مجموع دكاكينه ثلاثمائة وأربعة وأربعين، وإلى جانبها سبيلان ومسجد. وخان الشونة، وفي بغداد خان مرجان، أما القاهرة فقد عرفت بخاناتها التاريخية، والتي من أشهرها خان الخليلي وخان مسرور. وقد أسهب المستشرق الفرنسي جاستون فييت، في كتابه الماتع «القاهرة مدينة الفن والتجارة»، في ذكر هذه الخانات التي قال عنها: «هناك خان من نوع خاص عند مدخل المدينة شمالي باب الفتوح سمح للمسافرين بالنزول فيه مجاناً، ونظراً لموقعه في ظاهر المدينة، فقد تحوَّل إلى مستشفى للمرضى بأمراض معدية، وهناك خان آخر استخدم كمصرف، أودع فيه التجار صناديق المال المملوءة بالذهب والفضة، وفي الحي نفسه كان هناك خان قوصون، أو وكالة قوصون، الذي استخدمه التجار السوريون لخزن بضائعهم، مثل الزيت والسيرج والصابون والدبس والفستق والجوز واللوز والخرنوب، وكان فندق دار التفاح بالغرب من مسجد المؤيد، أشبه بوكالة كبيرة للفواكه على اختلاف أنواعها، كما وجد خان آخر كبير كانت تستخدم إيراداته لفدية أسرى الحرب، واشتمل على اثني عشر حانوتاً، وخمسة حمامات، وثمانية وخمسين مخزناً، وست غرف كبيرة، وفناء وخمسة رباع، وخمس وسبعين حجرة للنزلاء، وخمسة حمامات في الطوابق العلوية»(7).

صورة قديمة لخان الجمرك في حلب

ويفهم من هذا الوصف، الذي قدمه جاستون فييت لخانات القاهرة، أنَّ وظيفة الخان في المدن الإسلامية في العصور المتأخرة، كانت استقبال التجار بشكل عام، من باعة الجملة ومروجي البضائع ومراسلي المستوردين والوسطاء، ومن الخانات الشهيرة التي أقيمت على طرق القوافل والمواصلات أيضاً خان عباس على بعد 26 كيلومتراً من دمشق، حيث كان مأوى للمسافرين بين حلب ودمشق، وكان فيه مسجد وبئر ماء وحانوت، وكان يسمّى خان لاجين نسبة إلى بانيه الأمير حسام الدين لاجين، والي دمشق سنة 690هـ، وقد أوقفت لهذا الخان أوقاف كثيرة للإنفاق عليه.

كتاب القاهرة مدينة الفن والتجارة

ومما يلفت النظر أيضاً أنَّ بعض النساء قد اهتممن بتشييد الفنادق والخانات، رغبة منهن في جلب الأجر والثواب من الله تعالى، «فقد بنت عصمة الدين بنت معين الدين زوجة صلاح الدين الأيوبي، المتوفاة سنة 581هـ، فندق عصمة الدين في مدينة دمشق، كما أنَّ هناك مدناً وقرى ركبت أسماؤها من كلمة خان مضافة إلى

التخطيط الهندسي للخان كان يخضع للمقتضيات التجارية والحرفية والأمنية

كلمة أخرى، ويبدو أنها كانت في الأصل خانات بنيت على طرق القوافل بين المدن للمسافرين، ثمَّ تحوَّلت مع الزمن إلى تلك القرى والبلدان، ومن أشهرها خان السبل في محافظة إدلب، وخان طومان، وخان العسل، في محافظة حلب، وخان أم حكيم في محافظة ريف دمشق»(8).

وفي النهاية نقول إنَّ الخانات باب عظيم من إبداعات الحضارة الإسلامية، أدت وظيفة حضارية عظيمة، لم نجد لها مثيلاً في أي حضارة من الحضارات السابقة، حيث كان للخان أثرٌ كبيرٌ في اجتذاب عدد كبير من الناس، من جنسيات مختلفة، مما أدى إلى وجود تأثير حضاري وثقافي من احتكاك مختلف الطبقات من مختلف البلدان، وتقديم الرعاية الاجتماعية التي لم تتوافر الآن في العصور المتحضرة والمتقدمة على مثل هذه الصورة التي قدمتها الحضارة الإسلامية التي اهتمت بالجميع دون التفريق بين كافر ومسلم، وذكر وأنثى.

منطقة خان الخليلي التاريخية بالقاهرة

*كاتب وباحث مصري

المصادر:

1. معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد مرزوق، الناشر مكتبة مدبولي، سنة 2000م، ص92.
2. الخان قصة منشأة خدمية في حضارتنا، محمد شعبان أيوب، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 593، محرم 1436هـ - نوفمبر عام 2014م.
3. الطبقات الكبرى، لابن سعد، الجزء الخامس، تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى، 1990، ص266.
4. (معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، عاصم محمد مرزوق، مصدر سابق، ص91.
5. الخان قصة منشأة خدمية في حضارتنا، محمد شعبان أيوب، مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد 593، محرم 1436هـ - نوفمبر عام 2014م.
6. تاريخ الخان في المنطقة العربية، ربيع فواز، جريدة الحياة، العدد الصادر بتاريخ 2003/9/11، رقم العدد 14058.
7. القاهرة مدينة الفن والتجارة، جاستون فييت، الناشر مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، 1999، ص198.
8. الموسوعة العربية، المجلد الثامن، الحضارة العربية، رقم الصفحة 741، نسخة إلكترونية.

أمضى خمسة عقود في ممارسة حرفته التي أتقنها وورَّثها لأبنائه

الصائغ الأحسائي ناشي المهنا

اسم من ذهب في ذاكرة دبي

أحمد علي حمد الأمير*

كانت مدينة الأحساء - ولم تزل- مصدر إشعاع حضاري ومن أهم الحواضر الاقتصادية منذ القدم، حيث تعدُّ مقصد أهل الجزيرة العربية من بدو وحضر، حتى أضحى اسمها على قائمة المدن التي أنجبت عدداً لا يحصى من الأدباء والعلماء والشعراء، وحتى الصنّاع الذين أثروا الساحة الاقتصادية بحرفهم وصناعاتهم منذ ذلك الزمان الذي اعتمد بشكل رئيس على اليد العاملة المبدعة قبل غزو الآلات والنهوض الصناعي اللاحق.

من معالم مدينة الأحساء التاريخية وواحاتها الغنية

لقد كانت مدينة الأحساء مهداً لعدد كبير من الحرفيين الذين استلهموا إبداعهم في الموروث الفني من النخلة التي تحيط بهم من كلِّ جانب، واستوحوا جودة نتاجهم من طيب ثمرها من رطب وتمر، كماً وكيفاً. حيث اشتهرت بوفرة الحرفيين المهرة في شتى الحرف، فكانت حرفهم مضرب المثل في الإتقان والإبداع حتى أصبحت الأحساء علماً على نتاجهم، حيث يُقال «المرتعشة الحساوية» و«البشت الحساوي» وغيرها الكثير، وذلك لجودة عملهم وإتقانهم المتناهي الذي يرغب في اقتنائه أهل الأحساء وخارجها، فشجَّع ذلك أهل الأحساء على السفر والهجرة للعمل في دول الخليج، حيث ينشط الطلب على نتاج حرفتهم في بلد في بعض الأوقات ويكسد في بلد آخر.

يقول شاعر الأحساء جاسم الصحيح:

(أحساءُ) يا جَنَّـةً بالنخـلِ تلتحـفُ

يكادُ يُشرِقُ في عليـائِها السَّعَـفُ

ما بين جَنبَيكِ.. لم يبرحْ يُوَحِّـدُنا

أَصْلٌ بهِ يلتقي الأحفادُ والسَّـلَـفُ

وفـي ثراكِ أقـامَ الفـنُّ معبـدَهُ

للناسِ، فانطلقَ الإنسانُ والحِرَفُ

نحـو دبي

مـن هـؤلاء الحرفييـن الأحسـائيين الصائـغ المحتـرف المرحـوم ناشـي بـن علـي المهنـا.

مكـث الصائـغ الأحسـائي الحـاج ناشـي بـن علـي المهنـا، رحمـه الله، فـي دبـي قرابـة سبعة وأربعيـن عامـاً متواصلة دون أن يقطعها بزيـارة إلى موطنـه الأحسـاء، وبـدأت رحلتـه فـي الثلاثينيات الهجريـة مـن القـرن الماضـي، بعـد أن تـزوَّج فـي صبـاه فـي الأحسـاء، وغـادر إلـى دبـي فـي مقتبـل عمـره سعيـاً لطلـب الـرزق، حيـث عمـل صائغـاً فـي دبـي فـي سـكة الخيـل، وبعـد أن طـال سـفره فـي دبـي بـدون

غادر إلى دبي في مقتبل عمره سعياً لطلب الرزق حيث عمل صائغاً في سكة الخيل

رفقـة زوجتـه طلقها بوكالـة لأحـد أقاربـه، حيـث لـم ترغـب بالسـفر، وتـزوَّج بامـرأة أخـرى فـي دبـي، وكان نسـله منهـا، حيـث اسـتمرَّ مـع زوجتـه الأخـرى فـي دبـي قرابـة خمسـة عقـود قبـل أن يقـرروا جميعـاً الرجـوع إلـى الأحسـاء هـو وأولاده وبناتـه وزوجتـه، التـي ذهبـت معـه إلـى الأحسـاء، حيـث تقـدم إلـى ابنتـه أحـد أبنـاء عمّهـا مـن الأحسـاء وتزوجـت بـه، وعلـى إثـر ذلـك نزلـوا جميعـاً إلـى الأحسـاء، فقفـل ناشـي إلـى الأحسـاء التـي غادرهـا فـي عمـر العشـرين ورجـع لهـا فـي نهايـة السـتين مـن عمـره، وكان ابنـه أحمـد -أبـو هانـي- لـه مـن العمـر ثلاثـة أشـهر أثنـاء عودتهـم مـن دبـي، وكان ذلـك فـي نهايـة السـبعينيات الهجريـة[1].

محبة وتقدير

لَم يكن مكوثه الطويل في دبي وبعده عن الأحساء أمراً غريباً، فـكان المكـوث فـي دبـي دافئـاً رؤومـاً كـدفء أمـه الأحسـاء، رغـم بساطة العيش فيها آنذاك إلا أنَّ أهلها كانوا هم الإضاءة واللمسة الحلـوة التـي تضفـي علـى تلـك القطعـة المالحـة مـن الأرض، حيـث كان البحـر مصـدر المـاء والغـذاء علـى الغالـب، لكـن طبيعـة أهلهـا هـي مـا تميـز أرضهـا بسـعيهم دائمـاً نحـو الأفضـل منـذُ القـدم باسـتقبالهم الوافـد ومـا يجلبـه معـه مـن حِـرَف وعلـم وثقافـة، ومعاملتهـم لـه بـكل احتـرام وتقديـر وعـدل ومسـاواة، ليكـون باعثـاً للتوافـد إلـى بلادهـم والاسـتقرار فيهـا، حيـث لقـي الحـاج ناشـي المهنـا، رحمـه اللـه، المحبـة والتقديـر مـن أهلهـا، فقـد كان يصيـغ حلـي الذهـب مـن المرتعشـات الحساويـة والسـبحة الحساويـة (المريـة) والبناجـر[2] لكريمات الشيوخ، ومنهـن الشيخة حصة المر زوجة الشيخ سعيد آل مكتـوم والـدة الشيخ راشـد بـن سـعيد، رحمهـم اللـه، ولعمـوم أهـل دبـي وغيرهـا مـن الإمـارات؛ فـكان الشـيوخ والأعيـان يصحبونـه فـي طلعاتهـم البريـة فـي مواسـم الربيـع لما يكنّون لـه مـن محبـة وتقديـر.

الطب الشعبي

وكان بصحبتـه مـن الصاغـة الحساويـة فـي دبـي أحمـد العبـد العزيـز الناصـر، وعبـد الحميـد الدجانـي، وعبـد اللطيـف الدجانـي، وحسـين السـمين، وأسـرة آل الأميـر مـن معازيـب البشـوت الحساويـة، وغيرهـم مـن الحساويـة فـي الفتـرة التـي واكبـت وجـود الصائـغ الحـاج ناشـي المهنـا فـي دبـي آنـذاك. ولَـم يكـن بعـده عـن الأحسـاء عقوقـاً لهـا وزهـداً منهـا، بـل كان رجوعـه إليهـا رجـوع الابـن المشـتاق لأمـه التـي اسـتقبلته اسـتقبال الأم الـرؤوم التـي لا تكـره أبناءهـا، حيـث عوضـه الله حرمـان البعـد عـن الأحسـاء الـذي دام قرابـة خمسـة عقـود فـي دبـي، بأربعـة عقـود أخـرى فـي الأحسـاء؛ إذ كان مـن المعمّريـن الذيـن امتـدت أعمارهـم بسـتة سـنوات بعـد المائـة، حيـث خـدم المهنـة إلـى آخـر عمـره المديـد. وكان الصائـغ الحـاج ناشـي المهنـا هـو وأبنـاؤه مـن علامـات الصياغـة البـارزة فـي الأحسـاء، حيـث برعـوا واشـتهروا فـي النقـش علـى الذهـب[3]. كمـا كان لـه اهتمامـات فـي الطـب الشـعبي، حيـث كان يقصـده مـن شـتى مـدن وقـرى وباديـة الأحسـاء وحتـى مـن بعـض دول الخليـج ممـن يعانـي بعـض الأمـراض مثـل «البوصفـار» وغيرهـا مـن الأمـراض التـي تُعالـج بالكـي[4]، إلـى أن لبّـى نـداء ربـه فـي مسـقط رأسـه الأحسـاء عـام 1417هـ، رحمـه الله.

* كاتب سعودي

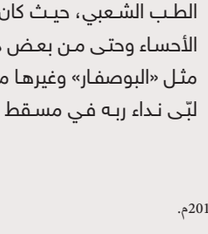

مرتعشة حساوية

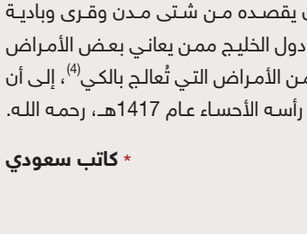

الصائغ ناشي المهنا وهو يزاول حرفة الصياغة

اشتهرت الأحساء بوفرة الحرفيين المهرة حتى غدت حرفهم مضرب المثل في الإتقان والإبداع

(1) مقابلة مع الحاج أحمد بن ناشي المهنا (أبي هاني) في محله في سوق الذهب بالهفوف في 2019/1/15م.

(2) نوع من معاضد اليد الحساوية وتكون عريضة وثقيلة.

(3) إفادة من الباحث الأستاذ أحمد بن حسن البقشي.

(4) إفادة من الأستاذ حسين علي المحمد علي، مراسل هجر.

شخصية إسلامية بارزة في التاريخ والسياسة الدولية في العصور الوسطى

رحلة تشنغ خه إلى الجزيرة العربية

قصة كفاح صيني على طريق الحرير

د. حمادة محمد هجرس*

عبر تاريخنا الطويل، قدّمت لنا حضارتنا عديد الأعلام والرجال الذين نهضوا بالأمة الإسلاميّة، وعُني التاريخ الإسلامي بعلم التراجم وتراجم الرجال وحياة الأعلام من الناس عبر العصور المختلفة، بوصفها فرعاً من فروع علم التاريخ، وقدّموا دراسات لشخصيات تاريخية إسلامية، تركت وما زالت أثراً في المجتمع، من كافة طبقاته في شتى المجالات، حتى إنهم - أي المؤرخين - وضعوا كثيراً من التآليف والمصنفات في تراجم الرجال، واهتمّوا بذكر حياتهم الشخصية، ومواقفهم وأثرهم في الحياة وتأثيرهم؛ ومن هنا تأتّت أهمية الكتابة المستمرة عن شخصيات تاريخية إسلامية، وصل خبرها إلى اليوم، للاعتبار منها وأخذ الدروس والعظات لبعث الأمة من سباتها ونهضتها من جديد.

تشنغ خه القائد الفذّ

من هنا يطيب لنا المقام أن نتحدث عن شخصية إسلامية بارزة في التاريخ والسياسة الدولية في العصور الوسطى، ألا وهو تشنغ خه، الأدميرال والقائد والملّاح وقائد أسطول أسرة مينغ (1368-1644م) في النصف الأول من القرن الخامس عشر الميلادي. ولد تشنغ خه عام 1371م، وتوفي بين سنتي 1433-1435م. ويسمى بالعربية حجّي محمود شمس. نشأ تشنغ خه في أسرة مسلمة بمقاطعة يونان في جنوب غربي الصين، وكان لعائلته وضع سياسي مميز خلال عصر أسرة يوان المغولية؛ حيث يعود نسبه إلى سيد أجل شمس الدين عمر - حاكم مقاطعة يونان في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي - وكان لديه أخ أكبر وأربع أخوات. ترجع شهرته إلى كونه كان بحّاراً صينياً، ومستكشفاً، ودبلوماسياً، وأميرالاً للأسطول، في أوائل عهد أسرة مينغ. وخلال عصر الإمبراطور يونغله منحه الإمبراطور لقب تشنغ (Zheng). قاد تشنغ خه رحلات الكنوز الاستكشافية إلى جنوب شرق آسيا وجنوب آسيا وغرب آسيا وشرق إفريقيا بين عامي 1405م و 1433م في سبع رحلات بحرية، وتوفي بين عامي 1433م و1435م.

في عام 2013م حلّت الذكرى السنوية على مرور ستمائة عام على بداية الزيارة والبعثة الدبلوماسية الصينية التي ترأسها تشنغ خه - القائد المسلم الشهير والملاح الصيني الأبرز - إلى بلاد تيانفانغ (شبه الجزيرة العربية)؛ بغرض إقامة علاقات دبلوماسية واقتصادية، وكذا استكشاف المنطقة العربية. كان عام 1412م بداية القصة؛ إذ أمر الإمبراطور يونغله (1402-1424م) لأسرة مينغ هذا القائد العظيم بالإبحار إلى العالم العربي، وامتثل للمرسوم الإمبراطوري.

مسجد داشيشي - الصحن

نقش تشنغ خه في مسجد داشيشي

في مدينة شيآن - العاصمة القديمة للصين- يوجد مسجد ليس فقط من روائع العمارة الإسلامية، بل أيضاً من روائع ما أنتجته فنون العمارة الصينية، ألا وهو مسجد داشيشي Daxuexi. داخل صحن المسجد، وبعد مرور أكثر من قرن على رحلة تشنغ خه لشبه الجزيرة العربية، أقيم نقش صيني مؤرخ بعام 1523م موسوم بالخاتم الرسمي

رحلات تشنغ خه إلى المنطقة العربية أرست قواعد متينة للعلاقات الاقتصادية والتجارية والسياسية مع البلاد العربية

للإمبراطور جيا جينغ (1521-1567م). يعرف هذا النقش باسم لوحة تشنغ خه (鄭和碑) Zheng He Bei، وهو عبارة عن لوحة حجرية ارتفاعها 2.5م، ويحتوي على 573 حرفاً بالكتابة الصينية التقليدية. يرصد النقش بجلاء تاريخ هذه الرحلة، والمشكلة الرئيسة التي واجهتها عند الإعداد لرحلته الرسمية ألا وهي «الاستعانة بمترجم يتقن اللغة العربية وملمّ بالثقافة العربية»، كما يرصد ما ترتَّب على نجاحها، وكذا يوثّق العلاقة بين البلاط الصيني والمجتمع المسلم في الصين، وما أنعم به الإمبراطور وخلعه على مسلمي مدينة شيآن.

جوانب من الرحلة

في الشهر الرابع لسنة 1413م، انطلق تشنغ خه إلى مقاطعة شانشي، واتجه إلى مدينة شيآن للبحث عن الرجل المنشود، ووجد المترجم الموثوق في مسجد داشيشي وهو الشيخ حسن أحد أئمة المسجد، وأصبح الشيخ حسن رسولاً لتشنغ خه في رحلته، وقام بتعيينه مستشاراً للبعثة. هذه الرحلة كانت هي المرة الأولى التي يفتح فيها الأسطول الصيني لأسرة مينغ طريقاً جديداً عبر المحيط الهندي إلى العالم الغربي والمنطقة العربية، ونجح في الوصول إلى شبه الجزيرة العربية والبحر الأحمر وساحل شرق إفريقيا. كان حسن جديراً بهذا التكليف وتلك المهمة؛ وما ذلك إلا لكونه مسلماً عالماً بالدين الإسلامي، متقناً اللغة العربية، خبيراً بالمنطقة العربية، عالماً بطرق البحر وخبايا السفر؛ ومردّ ذلك إلى أنه في مقتبل عمره، قام بعدة رحلات إلى المنطقة العربية لأداء فريضة الحج، فكان لدى تشنغ خه أوثق الناس وأكثرهم دراية بالطرق والممرات الملاحية، وهو الأمر الذي جعله جديراً بالملاحة الآمنة لأسطول تشنغ خه؛ لذلك أصبح بجانب تشنغ خه في رحلته، وبصفته الدينية كرجل دين أصبح مستشاراً دينياً لدى تشنغ خه خلال الرحلة، وفي الوقت ذاته لعب دوراً مهماً في تلبية احتياجات المسلمين في الأسطول خلال الحياة اليومية مثل طريقة الذبح الإسلامية والإمامة في الصلاة، وكذلك صلاة الجنازة وغيرها.

صورة للإمبراطور يونغله (متحف القصر الوطني ببكين)

مسجد داشيشي - النقش

> يُعدُّ مسجد داشيشي من روائع ما أنتجته فنون العمارة الصينية

كان لعبقرية حسن الدبلوماسية ومهاراته في الترجمة ومساعدة تشنغ خه سبباً في إنجاح رحلته وبعثته الدبلوماسية إلى الغرب، وكان من نتيجة ذلك التقدير العظيم الذي حظي به حسن من قبل تشنغ خه. يروي النقش أنه خلال رحلة العودة من المنطقة العربية وقع الأسطول في بحرٍ من العواصف، وسارع تشنغ خه بطلب المساعدة من حسن للصلاة من أجل الحماية الإلهية لجميع أفراد طاقمه. سجل نقش المسجد أن «حسن قام بالاعتكاف في قمرته وتضرع إلى الله كاشف البلوى ومزيل الغمّ، واستجيبت

نقش المسجد وثيقة تاريخية مهمة تعكس علاقات الأباطرة الصينيين تجاه الإسلام وتؤرِّخ الوضع السياسي والاجتماعي للمسلمين الصينيين

دعواته، وأصبح البحر هادئاً».

كما تذكر بعض الروايات أنه عندما عاد أسطول تشنغ خه من بحر العرب وأبحر عبر سيلان مرة أخرى، طلب ملك سيلان (سري لانكا) من تشنغ خه المكوث فترة في بلاده، وهو ما لقي رضاً لدى تشنغ خه، فنزل على رغبة الملك، وحطّ مع عدد كبير من الجند على الشاطئ، وفي أثناء ذلك قرر ملك سيلان اغتنام الفرصة لسرقة كنوز السفن، وكان القائد الصيني المسلم حينئذ يقوم بمتابعة ترتيب أسطوله وتنظيمه، ولم يكن يعلم بما يدور في خلد صاحب سيلان، بيد أنَّ حسن فطن للأمر وعلم بالخطة المحبوكة، فاستطاع الفرار والعودة إلى تشنغ خه والأسطول لتحذيرهم، فقرر تشنغ خه مهاجمة العاصمة، لذلك فشلت محاولة سرقة الأسطول وتمَّ هزيمة الأعداء. كان لكل ما تقدم ذكره عظيم الأثر في إنجاح مهمة تشنغ خه؛ لذا نذر تشنغ خه وأقسم على إعادة بناء مسجد داشيشي «مسجد حسن»، تقديراً له وعرفاناً بجميله.

الوفاء بالنذر

هل جزاء الإحسان إلا الإحسان، كانت هذه شيمة تشنغ خه، ولِمَ لا؛ فهو القائد المسلم، والابن البار بقومه، وصاحب النصيب الأكبر في بناء المساجد في بر الصين؛ إذ يُنسب إليه بناء عدد من المساجد ليس بالقليل. ومهما يكن من أمر، لم يحنث تشنغ خه بقسمه، وقدَّم إلى البلاط طلباً لإعادة بناء مسجد داشيشي تقديراً لجهود حسن وتفانيه في إنجاح المهمة التي أوكلت للأسطول، ووافق البلاط وقدَّم يد العون وموَّل عملية عمارة المسجد تمويلاً غير منقوص، وتمَّت عملية البناء للمسجد خلال العقد الثاني من القرن الخامس عشر الميلادي، وذلك بعد عودته من رحلته البحرية الرابعة التي كانت بين عامي 1413- 1415م.

نموذج لإحدى سفن أسطول تشنغ خه (متحف العلوم بهونج كونج)

رواية النقش

وثّق النقش ما دار في رحلة تشنغ خه وحسن إمام المسجد، كما وثق ورصد بجلاء خلع الإمبراطور يونغله على مسلمي المدينة. نقتبس بعضاً من النقش المذكور:

«في عصر هذه الأسرة «مينغ»؛ خلال الشهر الرابع للسنة الحادية عشرة من حكم الإمبراطور يونغله؛ قاد تشنغ خه «鄭和» الأسطول إلى بلاد تيانفانغ (天方國) «البلاد العربية - مكة»، فقدم إلى مقاطعة شانشي سعياً إلى مترجماً للصينية يكون موثوقاً به ويكون بمثابة رسولٍ له في رحلته، وقد وجد أحد الموثوقين بهم في المسجد وهو الشيخ حسن (哈三)، ومنذ ذلك الحين لعب حسن دوراً مهماً لهذا البلاط (هذه الأسرة) واستمر يخدمهم كجندي، وحظي بالثناء والتقدير لصموده في المناطق الغربية للصين. وأثناء خط العودة، تعرَّضت الرحلة لعاصفة بحرية عظيمة، وتعرَّضت لعديد المخاطر، فاعتكف حسن في المقصورة (القمرة) للصلاة، وفجأة هدأت الرياح والأمواج وأصبحوا في أمان، وهو الأمر الذي جعل تشنغ خه يقسم على إصلاح وإعادة إعمار المسجد،..... أسرة مينغ، السنة الثانية من عصر الإمبراطور جيا جينغ، في خريف السنة المعروفة باسم غوي ويي Guiwei (癸未)، في اليوم الميمون من الشهر التاسع. تشانغآن (شيآن)».

نتائج الرحلة الناجحة

على أية حال، فقد زار الصينيون مكة عام 1414م خلال هذه الرحلة (الرحلة الثالثة)

استعان تشنغ بالمترجم حسن لكونه مسلماً عالماً بالدين الإسلامي متقناً اللغة العربية خبيراً بالمنطقة العربية وطرق البحر

التي استغرقت ثلاثة أشهر طويلة عبر طريق غير مباشر من كاليكوت إلى هرمز، ثم من هناك أبحرت جنوباً غرباً إلى مكة. ولم تنقطع رحلات تشنغ خه للبلاد العربية بعد هذه الرحلة؛ فقد أعاد زيارة المنطقة مرة أخرى بعد أن جهز أسطولاً لم يسبق له مثيل، وقد سعى تشنغ خه بشكل عام إلى تحقيق أهدافه من خلال الدبلوماسية، ومن ناحية أخرى استطاع تأمين المحيط الهندي من القراصنة التي نهبت الأساطيل التجارية الصينية، فقد هزم تشنغ خه القرصان تشن زويي، أحد أكثر قادة القراصنة شهرة؛ لكونه من غواندونغ وكان يسيطر على بحر الصين الجنوبي، وأعاده إلى الصين لإعدامه. كما شنَّ حرباً برية ضد مملكة كوت في جزيرة سيلان، وأظهر قوة عسكرية عندما هدَّد المسؤولون المحليون أسطوله في شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا. وخلال رحلته الرابعة، أحضر مبعوثين من ثلاثين دولة سافروا إلى الصين ووصلوا إلى بلاط أسرة مينغ وأقاموا علاقات مع بلادهم، وجلب تشنغ خه زرافة سلطان البنغال، أحضرها من الإمبراطورية الصومالية الآجورية، ثم نُقِلَت لاحقاً إلى الصين في السنة الثالثة عشرة لفترة حكم الإمبراطور يونغله (1415م).

مدن شبه الجزيرة العربية في تاريخ أسرة مينغ

في رحلته السابعة بين عامي 1430-1433م أرسل تشنغ خه في هذه المرة رسولاً إلى حكام مكة بهدايا، وذلك في عام 833هـ/1430م، كما وصلت سفارة من حكام المدينة المنورة خلال حكم ذلك الإمبراطور بين عامي 828 - 838هـ/1425-1435م. ورد في المجلد رقم 326 لكتاب تاريخ أسرة مينغ (明史) ما يلي: «وصلنا إلى ظفار بعد أن قضينا في البحر مدة عشرة أيام بعد انطلاقنا من زنجبار، وفي السنة التاسعة عشرة لعصر الإمبراطور يونغله تمَّ إرسال مبعوث إلى عدن وزيلع وتمَّ إرسال التحيات لجميع البلدان عبر رسائل مختومة من تشنغ خه». وعن مدينة عدن يذكر تاريخ أسرة مينغ: «وصلنا إلى عدن بعد أن استغرقت الرحلة البحرية 22 يوماً من جوبا. في السنة الرابعة عشرة لحكم الإمبراطور يونغله ووصول البعثة إليها وقدمت التحية. وقدم تشنغ خه المرسوم ومنحهم الأموال». أما عن مكة المكرّمة فنقتبس ما ذكر في تاريخ أسرة مينغ «في عصر الإمبراطور جيا جينغ تم تقديم الذبائح واليشم والياقوت في بلاد تيانفانغ (مكة أو الكعبة). لا يتوافر اليشم في هامي ولكن ينتج في عدن». هذه النصوص الآنفة تم تدوينها في الرحلة السابعة لتشنغ خه؛ حيث طلب تشنغ خه من نائبه هونغ باو قيادة أسطوله الكبير للاتصال بمملكة كاليكوت في 18 نوفمبر 1432.

مهما يكن من أمر، فقد كانت رحلات تشنغ خه إلى المنطقة العربية حادثاً جللاً في التاريخ الصيني؛ حيث أرست قواعد متينة لعلاقات اقتصادية وتجارية وسياسية مع البلاد العربية، ومهدت لبسط السيادة الصينية في المحيط الهندي؛ إذ أصبح لهم يدٌ طولى في القسم الشرقي من العالم، ومن ناحية أخرى، كان لنقش مسجد داشيشي في مدينة شيآن عظيم الأهمية؛ وما ذلك إلا أن النقوش التذكارية تُعَدُّ من المخلفات الأثرية، وهي ذات قيمة تاريخية وفنية جديرة بالاهتمام والدراسة، وتُعَدُّ بمثابة وثائق رسمية صادرة عن الدولة والسلطات الحاكمة، ومن ثَمَّ لا يتطرَّق إليها الشك، وتعكس بوضوح مواقف وعلاقات الأباطرة الصينيين تجاه الإسلام وقومية هوي، كما أنها تعكس أيضاً الوضع السياسي والاجتماعي للمسلمين الصينيين، إضافة إلى ذلك أكَّدت سياسة التسامح الديني التي انتهجها بعض الأباطرة تجاه المسلمين خلال عصر أسرة مينغ (1368 - 1644م).

الزرافة التي أحضرها تشنغ خه من أرض الصومال

*باحث أكاديمي في مركز جمال بن حويرب للدراسات - دبي

قائمة المراجع

- Chen Xuelin (2008), «míngdài huànguān yǔ zhènghé xià xīyáng de guānxì», ***Journal of Chinese Studies, No***. 48, pp. 163-192, p. 173.
- Church, Sally K. (2005), «Zheng He: An investigation into the plausibility of 450-ft treasure ships», ***Monumenta Serica: Journal of Oriental Studies,*** Vol. LIII, pp. 1–43.
- Dreyer, Edward (2007), ***Zheng He: China and the Oceans in the Early Ming, 1405–1433,*** Library of World Biography. Longman, pp. 150-163.
- Duyvendak, J. J. L. (1939), «The True Dates of the Chinese Maritime Expeditions in the Early Fifteenth Century», ***T'oung Pao,*** Second Series, Vol. 34, Livr. 5, pp. 341- 413.
- Gunn, Geoffrey C. (2011), ***History without Borders: The Making of an Asian World Region, 1000 –1800,*** Hong Kong University Press. p. 117.
- Hu, F., (2008), ***Der Islam in Shaanxi: Geschichte und Gegenwart Mit einer Untersuchung zum islamisch-christlichen Dialog in Zeiten der Globalisierung und des Ökumenismus,*** (Ph.D.), University of Bonn, Germany, p. 205.
- Kenzheakhmet, Nurlan, «The place names of Euro-Africa in the Kangnido», ***The Silk Road,*** (14), 2016, pp. 106 -125, p. 109.
- Nappi, Carla (2010), ***The Monkey and the Inkpot: natural history and its transformations in early modern China,*** Harvard University Press, p. 36.
- Pelliot, Paul, «Les grands voyages Maritimes chinois au debut du XVe siecle», ***T'oung Pao,*** 1933, No. 30, pp 237- 452.
- Peterson, Barbara (1994), «The Ming court voyages of Cheng Ho (Zheng He)», 1371-1433, ***The Great Circle,*** Vol. 16, No. 1, pp. 43 - 51.
- Rockhill, W. (1915), «Notes on the Relations and Trade of China with the Eastern Archipelago and the Coast of the Indian Ocean during the Fourteenth Century». ***T'oung Pao,*** Second Series Part V, Vol. 16, No. 5, pp. 604 - 626, p. 620.
- Sitian longxin (1988), ***zhèng hé: Liánjié zhōngguó yǔ yīsīlán shìjiè de hánghǎi jiā, Hǎiyáng*** Press, 78-79.
- Tan Ta Sen (2009), ***Cheng Ho and Islam in Southeast Asia,*** Institute of Southeast Asian Studies. p. 171.
- Wang Tianyou; Wan Ming (2004), ***zhèng hé yánjiū bǎinián lùnwén xuǎn,*** Beijing University Press, p. 173.
- Xin Yuanou (2005), «zhèng hé yǔ gēlúnbù xiànxiàng de bǐjiào yánjiū», ***shànghǎi zàochuán,*** No.1, pp. 64 -71, p. 66.
- Yanghuai Zhong (2006), ***zhèng hé yǔ wénmíng duìhuà,*** Níngxià Rénmín Press.
- Zhang Dingya (1986), ***xiáxī míngshèng gǔjī chuánshuō gùshi xuǎn,*** Shǎnxī Rénmín měishù Press.
- Zhang Jian (2005), xià xīyáng yǔ fēizhōu dòngwù de yǐnjìn, xīyǎ fēizhōu, ***shuāngyuèkān,*** no.2, pp. 65 -71.
- Zheng Yijun (2005), ***zhènghéquán chuán,*** Zhōngguó Qīngnián Press,, p. 261.

الفلافل

هناك أسماء عربية كثيرة نبحث عن مدلولها وأصل اشتقاقها. واخترت اليوم كلمة فلافل، وهي أكلة شعبية قديمة أحبُّ أن أحدِّثكم عن أصلها وتاريخها. للفلافل أسماء أخرى وأشهرها «الطعمية» عند الإخوة المصريين، وقد وردت في أشعارهم منذ القرن الثامن الهجري، يقول محمد الأندلسي من علماء القرن التاسع الهجري: «حاجيتكم نحاتنا البصرية أولي الذكا والعلم والطعمية» محمد الأندلسي دخل القاهرة في عام 825هـ، وهذا يدلُّ على قدم الطعمية «الفلافل» في مصر واختصاصها بها. من شعر محمد الأندلسي نقول: إنَّ «الطعمية» هي الاسم القديم للفلافل، وإنما انتشر اسم «فلافل» بعد ذلك. في الكتب القديمة لا نجد اسم «فلافل» بل نجد اسم «الطعمية».

معنى «الطعمية» في اللهجة المصرية لا يحتاج إلى تفسير واضح، الطعمية هي الفلافل، ولكن مأخوذة من المذاق وهي كذلك في الفصحى، وقد تكون الطعمية المصرية مشتقة من الطعم وهو الأكل؛ لأنَّ في العربية الطعم ما أكل والطعم هو الأكل، وكذلك «الطعمية» عند المصريين يسمونها لحم الفقراء أو طعام الفقراء قبل أن تكون طعاماً للأغنياء. هذا وقد بدأت «الطعمية» في مصر وانتقلت إلى بلدان عربية أخرى، وهناك سميت «الفلافل». ومن يصنع الفلافل «الطعمية» يعلم أنها قد تكون من الفول أو الحمص، وتوضع بها البهارات والفلفل وغيرها. في العربية الفلافل جمع فلفل، ولأنه يكثر في الطعمية لذا سميت هذا الاسم. جاء في شعر العرب جمع فلفل على فلافل. قول الشاعر: طوى أمهات الدر حتى كأنها فلافل هندي فهن لزوم. من هنا نعرف أنَّ الطعمية الأصل والفلافل جاءت بعد ذلك، على ما أظن، لما خرجت من مصر إلى بلاد الشام.

في الختام أرجو أني قد بيَّنت لكم معنى فلافل والطعمية وتاريخها واشتقاقها، وأنصحكم بأكل فلافل مشوية.

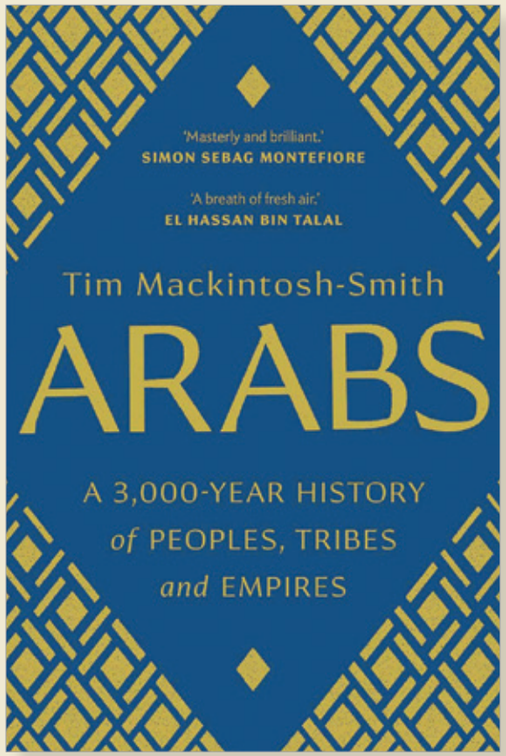

عنوان الكتاب: العرب: 3000 عام من تاريخ الشعوب والقبائل والإمبراطوريات

المؤلـــــف: تيم ماكنتوش سميث

تـاريخ النشـر: 4 فبراير 2020

دار النشـــر: دار جامعة ييل

يروي هذا الكتاب تاريخاً شاملاً يأسر الخيال حول الشعوب والقبائل العربية مستكشفاً أثناء ذلك دور اللغة كمحور ثقافي.

يمتد هذا الكتاب المتنوع على مساحة زمنية تقارب 3000 سنة من التاريخ العربي، ويسلط الضوء على الشعوب والقبائل والإمبراطوريات العربية وفتوحاتها التي تمكنت عبرها من بسط سيطرتها الثقافية ونشر لغتها على مسافات شاسعة.

وينظر المؤلف إلى تاريخ العرب من منظار لغتهم، إذ يتتبع التاريخ بالعودة إلى أصول اللغة العربية وليس انطلاقاً من ظهور الإسلام، يبدأ تيم ماكنتوش سميث روايته قبل أكثر من ألف عام من تاريخ النبي محمد (ص) مؤكداً دور اللغة العربية، المنطوقة والمكتوبة، كمصدر حيوي للهوية الثقافية المشتركة على مدى آلاف السنين.

يكشف ماكنتوش سميث كيف أن التطورات اللغوية - من الشعر الجاهلي إلى نمو استخدام النبي محمد للكتابة، والمشكلات اللاحقة المتعلقة بطباعة اللغة العربية - ساعدت وأعاقت تقدم التاريخ العربي، وتحقق في كيفية حدوث ذلك.

يسرد المؤلف عبر صفحات هذا الكتاب تاريخاً رائعاً وغنياً بالتفاصيل عن اللغة والثقافة العربية، مسلطاً الضوء على بعض أوجه التشابه التاريخية المثيرة في مختلف محطات التاريخ العربي.

المؤلف في سطور:

تيم ماكنتوش سميث هو مستعرِب ومترجم ورحّالة معروف، من أشهر مؤلفاته السابقة «أسفار مع ابن طنجة» و«اليمن: رحلات المتيم المهووس في بلاد القاموس». عاش في العالم العربي لمدة خمسة وثلاثين عاماً، وهو أقدم زميل في مكتبة الأدب العربي.

Spent five decades practicing his craft, which he mastered and bequeathed to his children

Jeweler Nashi Al Mahanna of Al-Ahsa

A Name Carved in Gold in Dubai's Memory

Ahmed Ali Hamad Al Amir*

Al-Ahsa city has always been a source of civilization and one of the most important economic communities since ancient times. It was the destination of choice for people of the Arabian Peninsula, both Bedouins and urbanites, and became one of the cities that provided countless writers, scholars, poets, and even artisans who have enriched the economic arena with their crafts and industries since that time.

A historical landmark of Al-Ahsa and its rich oases

Al-Ahsa city was the cradle of a large number of craftsmen who were inspired by the date palm that surrounded them. It was known for having plenty of skilled artisans, whose crafts became exemplary in perfection and creativity. The "Dangling Golden Necklace of Ahsa" (Almurtaeisha Alhasawya)' and the "Ahsa Men Cloak" (Al-bisht Alhasawi) and many other products became iconic examples of high quality and craftsmanship. People of Al-Ahsa and other regions wanted to learn these crafts which encouraged those artisans to travel and emigrate to work in the Gulf countries.

Destination Dubai

Among these craftsmen is the professional jeweler, the late Nashi bin Ali Al Mahanna.

Nashi stayed in Dubai, continuously, for nearly forty-seven years without visiting his homeland Al-Ahsa.

His journey began in the thirties of the last Hijri century, after he got married in his youth in Al-Ahsa, and left for Dubai to earn his living, where he worked as a jeweler in Sikat Al Khail.

After he stayed in Dubai for a long time without the company of his wife, Nashi divorced her as she did not want to travel. He married another woman in Dubai, who gave birth to his children. He stayed with his new wife in Dubai for nearly five decades before he decided to return to Al-Ahsa with his family.

Nashi returned to Al-Ahsa, which he left at the age of twenty and returned to at the end of his sixty. His son Ahmed - Abu Hani - was three months old when they returned from Dubai, at the end of the seventies of the last Hijri century[1].

When he was young, he left for Dubai to earn his living, where he worked as a jeweler in Sikat Al Khail

Al-Ahsa was famous for plenty of skilled artisans, whose crafts became exemplary in perfection and creativity

Love and Appreciation

Being far away from Al-Ahsa and his long stay in Dubai was not strange; Duabi was warm and gracious despite the simplicity of living at the time. In this salty piece of land, where the sea was the source of water and food, people of Dubai were the light and sweet touch that adorned living.

What distinguishes Dubai is the nature of its people who always strove for the better through receiving the expatriates with crafts, knowledge and culture brought to Dubai people who in turn treated them with respect, appreciation, justice and equality, so that it is an incentive to flock to their country and settle in it.

Haj Nashi had the love and appreciation of people, as he used to make gold jewelry for the wives of the Sheikhs, including Sheikha Hessa Al-Murr, the wife of Sheikh Saeed Al Maktoum, the mother of Sheikh Rashid bin Saeed, and for all the people of Dubai and other Emirates. Nashi was loved and appreciated by the Sheikhs and notables who used to take him on their desert trips in the spring seasons.

Traditional Medicine

During the period Haj Nashi spent in Dubai, there were other jewelers from Al-Ahsa in Dubai including Ahmed Abdel-Aziz Al-Nasser, Abdel-Hamid Al-Dajani, Abdul-Latif Al-Dajani, Hussein Al-Samin, and Al Amir family of the masters of the Ahsa Men Cloak and others.

Being far away from Al-Ahsa was not due to hatred. In fact, when Nashi returned, he was like a son who missed his compassionate mother that does not hate her children, and was received warmly by her. His long-time departure from his homeland was later extinguished with four decades of life in Al-Ahsa; where he died at the age of 106.

Almurtaeisha Alhasawya

Jeweler Nashi Al Mahanna in action

He was interested in traditional medicine, so people from various cities and villages of Al-Ahsa and some Gulf countries sought his consultation

Haji Nashi and his sons were leading jewelers in Al-Ahsa, where they excelled and became famous in engraving on gold. He also had interests in traditional medicine, so people who suffer from some diseases such as jaundice came to him from various towns and villages of the Al-Ahsa desert and even from some Gulf countries.

Haji Nashi passed away in 1417 Hijri in his homeland Al-Ahsa, may his soul rest in peace.

***Saudi Writer**

(1) An interview with Haj Ahmed bin Nashi AlMahanna (Abi Hani) in his shot at the Gold Market in Al Hofuf; Jan 15th, 2019.

In a cultural evening organized by JBHSC

Mythical Creatures in the Emirati Heritage

Historical Fiction Mixed with Facts

Orbits & Inscriptions - Dubai

Researcher and writer Dr. Abdulaziz Al-Musallam, Chairman of Sharjah Institute for Heritage, said "The mythical creatures in the Emirati folklore are based, for the most part, on some truth, despite the fiction and exaggeration.

In a symposium organized by Jamal bin Huwaireb Studies Center (JBHSC), in which Dr. Al-Mmusallam spoke about "Mythical Creatures in the Emirati Heritage", a number of the attendees called for scientific studies on the effect of genetics on many of the heroes of the myths abound in the Emirati popular tradition.

Audience during the symposium

The session began with an introduction by historian Jamal bin Huwaireb, CEO of the Mohammed bin Rashid Al Maktoum Knowledge Foundation, in which he emphasized the importance of this topic in the Emirati popular imagination.

Bin Huwaireb said: 'It is common among Arabs to say directly: This is a "kharrofa" (myth), plural "khararif" if they heard unbelievable words, or fictional stories.'

"Kharrofa" is a fairy tale people invented to entertain themselves, and its standard Arabic source is 'khurafa' (myth), meaning the fancy stories told at night.

The Arabs did not know why these myths were called "khurafa", Prophet Muhammad, PBUH, told us about its derivation. He said: Khurafa was a good man of Auzra family. In the pre-Islamic era, Khurafa was captured by the jinn so he stayed with them for a long time before he was released. He used to tell people about the miracles of the jinn, and people called his stories "khurafa".

Mystical Creatures

Dr. Al-Musallam said that he stopped writing about 6 years ago, after he released his book "Encyclopedia of Superstitious Creatures in the Emirati Heritage", which was translated into several languages, including English, French and Russian, and large numbers of copies were sold at the last Moscow Book Fair.

Superstitious Creatures in the Emirati Heritage

'The fairy tale in its general shape falls within the category of popular literature, while in its specific character and content it comes within the popular beliefs and traditions preserving. For every moral deviation or social disintegration there was a frightening mythical creature, whose task was to deter those who dared to cross those boundaries and to confront social calamities such as envy, oppression, theft, adultery, betrayal, greed, injustice and others.', added Al-Musallam.

Themes and Topics

The lecturer said: 'The book comprises several titles, themes and topics, including, my story with superstitious creatures, the encyclopedia of superstitious creatures, a pioneering experience. The book deals with about 37 superstitious creatures in Emirati stories and discusses their origin, position, and society's view of them. It also tackles the structure of the popular narrative heritage in the Emirates and elsewhere.'

The book included drawings, as the author sought the assistance of four illustrators who depended on the research method.

Popular Heritage

The lecturer said: Popular literature, whether material or intangible, is nothing but an aesthetic expression of a human experience from a collective perspective. It aims to entertain and seeks to educate and teach.

He added: With regard to stories, they comprise:

Historical stories: including (migrations, conflicts, drought and epidemic diseases)

Stories of remembrance and daily experiences "Sawalef"

Tales of beliefs and proverbs, religious and comic tales. In addition to animal stories and poetry stories.

As for the shapes of mythical creatures, they are divided into several images according to the narrative of each character, including human, semi-human, animals, plants, inanimate, jinn and demons.

Attendance and dialogues

The symposium witnessed a large attendance led by a group of academics, interested people, media professionals and writers, including Dr. Maryam Matar, Professor Mona Hammad, Consul General of Algeria in Dubai Professor Mohamed Darraji, Heritage Adviser Ahmed Mohamed Obeid, Heritage Adviser Abdullah bin Jassim Al-Mutairi, Heritage Adviser Rashad Boukhash, Khaled Al-Jallaf, Dr. Yousef Sharab, Saeed Al Naboodah, Dr. Shehab Ghanem, Dr. Moataz Othman, Adel Al-Midfa, Abdulaziz Al-Rostamani, Muhammad Saleh Badah and others.

Abdulaziz Al-Musallam:
Fiction and reality meet in folklore

The task of a mystical creature is to deter those who dare to transgress morals and to confront social calamities

Jamal bin Huwaireb honoring Al-Musallam

Fairy tales in their general form are part of the folklore

About the Lecture

Dr. Abdulaziz Al-Musallam, an Emirati writer and researcher, a consultant in cultural heritage. He was born in Sharjah in 1966, and holds a doctorate in history and heritage from Hassan II University in Casablanca, Kingdom of Morocco.

He is currently the chairman of Sharjah Institute for Heritage and Editor-in-Chief of Al Mawrouth and Marawd Magazines, and an executive member of a number of international organizations and associations concerned with cultural heritage. He won Emirati and Gulf awards and decorations, and has published a number of publications in culture, fairy tales, and Nabati poetry. Some of his works have been translated into English, French, Russian, Italian, Spanish and Czech.

The team traveled 185,000 kilometers by car in 9 trips across 90 countries

Group picture of the symposium's audience

of HH Lieutenant General Sheikh Saif bin Zayed Al Nahyan, Deputy Prime Minister and Minister of Interior, and Sheikh Hamad bin Hamdan Al Nahyan.

We faced many obstacles after the start, such as passing through some insecure countries; some countries were going through a state of turmoil and wars, and the climatic conditions of others were very difficult, as well as driving for long hours, up to 43 hours without stopping.

Bin Mejren pointed out that the unsafe roads and the difficulty of communicating with some peoples remained among the most prominent pitfalls that faced the team.

'The difficulty of residing in some remote areas was an additional obstacle, and the team members overcame it over time', added bin Mejren.

Peerless Welcome

The "Emirates Travellers" team, led by Awad bin Mejren, sought to positively represent the UAE, and strove to address all cultures and peoples of the world about the most important characteristic of the state. The team was warmly greeted by everyone around the world.

Bin Mejren also emphasized that the state's relentless work in providing humanitarian aid and participating in consolidating goodness and giving contributed to facilitating the team's mission and making the journey successful.

Team Heroes

The Emirates Travellers team includes heroes who believed in the importance of patience, generosity, cooperation and teamwork to face difficulties and dangers, including: Awad bin Mejren, Ahmed Al Awar, Hisham Al Zarouni, Aref Al Suwaidi, Mohammed Al Ameri, Ahmed bin Ghalita, Munzer Akram Jumaa, Jumah Akram Juma, Abdul Bari Bin Soukat, Ibrahim Darwish, Ahmed Al Muhairi, Ahmed Bin Hareb, Mansour Al Habtoor, Dhahi Bin Dhahi, Muhammad Faraj, Ahmed Al Ameri, Adel Lootah, Hashem Al Awar, Mustafa Abdoun.

Book Title: Arabs: A 3,000-Year History of Peoples, Tribes and Empires
Author: Tim Mackintosh-Smith
Published: February 4, 2020
Publisher: Yale University Press

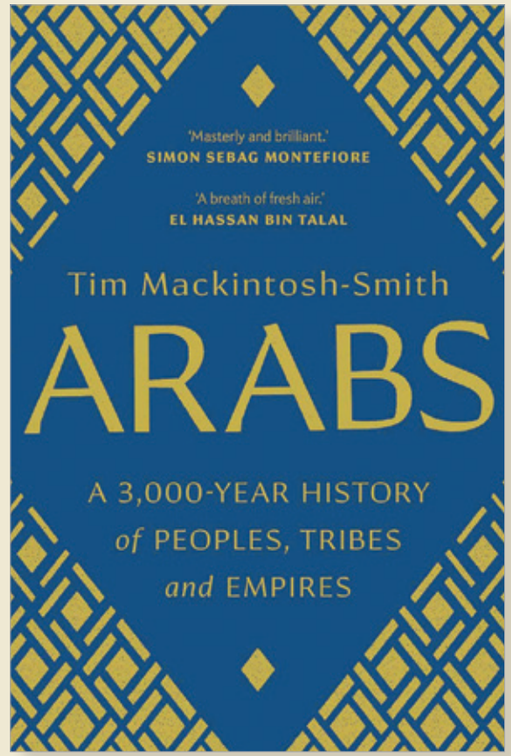

This book chronicles a riveting, comprehensive history of the Arab peoples and tribes while exploring the role of language as a cultural touchstone

This kaleidoscopic book covers almost 3,000 years of Arab history and shines a light on the footloose Arab peoples and tribes who conquered lands and disseminated their language and culture over vast distances. Tracing this process to the origins of the Arabic language, rather than the advent of Islam, Tim Mackintosh-Smith begins his narrative more than a thousand years before Muhammad and focuses on how Arabic, both spoken and written, has functioned as a vital source of shared cultural identity over the millennia.

Mackintosh-Smith reveals how linguistic developments—from pre-Islamic poetry to the growth of script, Muhammad's use of writing, and the later problems of printing Arabic—have helped and hindered the progress of Arab history, and investigates how, even in today's politically fractured post–Arab Spring environment, Arabic itself is still a source of unity and disunity.

A fascinating and richly detailed chronicle of Arab language and culture offers some thought-provoking historical parallels.

About the Author:

Tim Mackintosh-Smith is an eminent Arabist, translator, and traveler whose previous publications include ***Travels with a Tangerine and Yemen***. He has lived in the Arab world for thirty-five years and is a senior fellow of the Library of Arabic Literature.

In a Heritage Evening Organized by JBHSC

"UAE Travellers"

Ambassadors of Tolerance, Love and Peace

Bin Mejren speaking during the symposium attended by Jamal

Orbits & Inscriptions - Dubai

Historian Jamal Bin Huwaireb, CEO of the Mohammed bin Rashid Al Maktoum Knowledge Foundation (MBRF), said: The UAE Travellers team has fulfilled the aspirations of the late Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan, to spread Emirati heritage around the world. The team, added bin Huwaireb, "is a realization of the vision of HH Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, to make the UAE number one in the world, and that the word impossible has no place in our dictionary".

This came about in an exciting symposium at Jamal Bin Huwaireb Studies Center (JBHSC) attended by Awad Mohammad bin Al Sheikh Mejren, head of the Emirates Travellers team, and a group of researchers and writers, led by former UAE ambassador to Poland and Ethiopia Youssef Issa Al Sabri, Abdullah bin Jassim Al-Mutairi, Rashad Bukhash, Dr. Shehab Ghanem, Dr. Youssef Shurrab, Adel Al-Midfa, Muhammad Saleh Badah, and others.

Bin Huwaireb introduced Bin Mejren, stressing that the team, who represents the youth of the UAE, has transferred the country's history and heritage to about 90 countries over a period of 23 years, and that they are the "children of Zayed", ambassadors of tolerance, love and peace who know neither fear nor the impossible.

Heritage Preserving

Awad bin Mejren began his speech by thanking the JBHSC for its efforts in spreading culture and preserving Emirati heritage.

Bin Huwaireb:
The team introduced the history and heritage of the UAE to the world

Bin Mejren:
The happiest moment of our life is our meeting with Sheikh Zayed in Geneva

Bin Mejren added: Talking about the Emirates Travellers team brings me back to the year 1996, when I and five Emirati youth decided to make the first 6-month trip, during which we toured the Arab Gulf states, the Levant, Europe, the Maghreb, North and South America, and the Amazon forests.

The happiest moment of our lives was the day we met the late Sheikh Zayed bin Sultan Al Nahyan in Geneva, who issued directives to all concerned authorities to provide all forms of support and assistance to team members, to facilitate their national mission, and to overcome the obstacles and difficulties they might face.

Bin Mejren added: The team traveled 185,000 kilometers by car in 9 trips across 90 countries. That success would not have been possible without good management, strong will, determination to continue, and the support and encouragement from the wise leadership, especially from His Highness Sheikh Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Vice President and Prime Minister of the UAE and Ruler of Dubai, and His Highness Sheikh Hamdan Bin Mohammed bin Rashid Al Maktoum, Crown Prince of Dubai.

Journeys and Festival

The lecturer went on: Later we made several trips, the second trip took 5 months across East Asia, Australia, Indonesia, Malaysia, Singapore, Thailand, India, Nepal, Pakistan, Iran and Iraq. The team traveled on the third trip over a period of 4 months, between South Africa, Zimbabwe, Zambia, Tanzania, Kenya, Sudan, Egypt, Libya and Tunisia.

The fourth trip lasted one month, across the Arabian Peninsula, the Sultanate of Oman, Yemen and Saudi Arabia, and the fifth spanned over two months, and included China, Russia, Mongolia, Iran and Kazakhstan. While the sixth trip included only Djibouti and Ethiopia, the seventh was in Peru and Ecuador, and the eighth in Madagascar.

The lecturer talked about the launch of the World Travellers' Festival in Dubai, the first of its kind in the world, which achieved great success during its past seasons.

Emirates Travellers Team headed by Awad bin Mejren

The festival was held under the patronage of His Highness Sheikh Hamdan bin Mohammed Al Maktoum. About 100 travellers from different nationalities took part in the festival.

Obstacles and Challenges

The launch took place on July 1st 1996, in the presence

Jamal Bin Huwaireb
Chief Editor

The Famed ***Rabdan*** of Sheikh Zayed the First Was of this Breed

Al Rabd: A Time-honored Breed of Horses that Deserves to be Documented in History Books

The Arabian Peninsula - the home of the most important Arab horse breeds – has no known records or books on the history of the most ancient Arabian horses, except for a few recent writings by some European orientalists and some owners of the Arab horse stalls in Egypt and the Levant such as Prince Abbas Pasha. Such records were few and scarce until the nineteenth century, so such orientalists and owners recorded some aspects of the history of the Arabian horse. It is surprising that a great topic like Arabian horses had so little recordings in the past; yet what is even more astonishing is scarcity, nowadays, of sources in the GCC about Arabian horses, given the fact that the region's Kings and Sheikhs pay and had always paid special attention to horses. However, news, origins, poems and stories about Arabian horses are unfortunately lost but a few.

Sheikh Zayed the First, Ruler of Abu Dhabi, between (1855-1909) was very much interested in Arabian horses, which were gifted to him by princes in the Arabian Peninsula knowing his great love for the Arabian horse. Among the gifts Sheikh Zayed received was the horse "Rabdan". Many people, due to their lack of knowledge of the origins of the horse, thought that it was a single horse given this name by Sheikh Zayed the First, while it descended from the Rabd dynasty.

Etymology

"Rubda" is the color of dust, or a shadowy dusty color. Ostriches color is referred to as dusty, which is a mixture of black and ash that resembles the dust color, and this meaning is still used in the colloquial dialect. It is said that Rabd horses were called by this name, because the first knight riding a Rabd horse kept pace with an ostrich thanks for its speed. The Rabd breed is famous for its speed and small hooves, as well as its strong and light legs resembling those of ostriches.

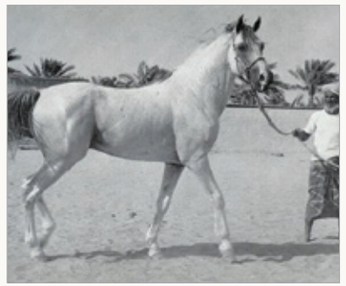

Rabd is the distinguished dark grey color of ostriches; the horse breed was named after it due to their resemblance to these birds, in terms of color and speed

Hence, the origin of the name is related to ostriches, either for thier color, speed, or because the first to ride a Rabd horse caught an ostrich. Speed is more likely to be the reason for the name; for Rabd horses have the same colors as the rest of the Arabian horses, so color is no distinction, but rather it is the similarity in certain characteristics. The analogy to ostrich came a lot in the poetry of the Arabs using the vocabulary "Rubda".

In the analogy of the Arabian horse's leg with the leg of an ostrich, Imru' al-Qays described a Rabd horse saying:

With waist of deer, ostrich pace, wolfish core
And fox-cub hind legs o'er-leaping it's fore

Some may ask, does heritage contain the name of an Arabic horse called Al-Rabd? The answer is yes. A text by al-Asma'i with Harun al-Rasheed, was conveyed by a narrator and appeared in Al Nuwayri's "The Ultimate Ambition in the Arts of Erudition" says: "It was narrated that Harun al-Rasheed rode in the year 185 to the square. Al- Asma'i said: upon entering the square, a black horse named Al Rabd appeared, and it was previously owned by Al-Rasheed who was pleased to his horse, and demanded Al- Asma'i to be present. I was called, so I came quickly before his hands, he then commanded me saying "take AlRabd and describe him from head to hoof".

Cover of "The Origins of the Arabian Horses" Book

This indicates that horses have been called Rabd after ostriches, since ancient times, and perhaps this name was common at that time, and it might be the name of an undocumented Arabian breed of horse.

Diwan Mubarak Al Oqaili

Khedive Abbas Pasha I

Rabdan continued to reproduce and his offspring was gifted during the era of Sheikh Zayed the First

The beginning of the dynasty

The Rabd breed has no known owner, and we do not know when it was called by this name, perhaps it is an ancient Arab name inherited from the ancestors. We've learned that Harun al-Rasheed's horse was called AlRabd, indicating that the name is that old. However, even though we don't know how this breed started, we know Arabs who were famous for owning it, as demonstrated in their poems and some documents that were found related to deals about this breed.

Today, the most important scientific document on the Arabian horses is the "The Origins of the Arabian Horses" collected in the nineteenth century for Khedive Abbas Pasha I (decd. 1854), who is the greatest collector of Arabian horses at his time. Khedive's love for horses motivated him to send a delegation to the Bedouins in the Arabian Peninsula to document the origins of the Arabian horses. This precious book has become the crown jewel of publications on horses, its ninth chapter was dedicated to AlRabd breed.

In conclusion, we know that the Rabd breed is an ancient breed known for its speed and strength. That is why it was important in ancient wars, and it was owned by a number of Sheikhs of the Arab tribes. It was also owned by a number of knights, princes and Sheikhs including Sheikh Zayed the First, and its descendants still exist today.

jamal@jbhsc.ae

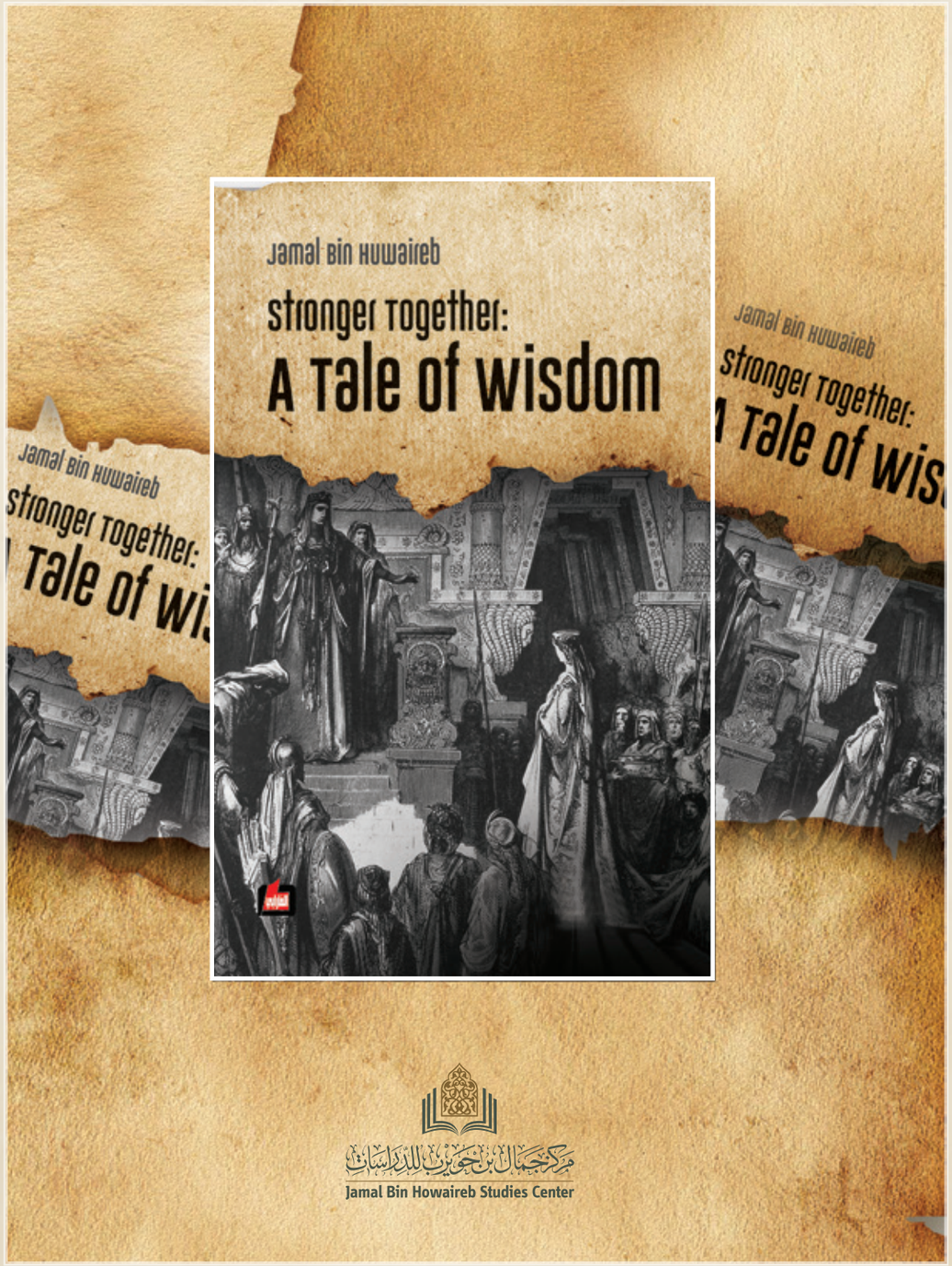
Jamal Bin Huwaireb
stronger together:
A Tale of wisdom
مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center

مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center
أهدافنا:
خدمة الباحثين في
التراث والتاريخ واللغة العربية
والتوثيق والنشر والتدريب
خدمات المركز:
دراسات الخيول العربية
الاستشارات الثقافية والتدريب
معارض ومؤتمرات
البحث والنشر
مجالس علمية متنوعة
مكتبة عامة تشمل أهم ونوادر كتب الأدب والتاريخ والتراث
استضافة كبار الأدباء والمفكرين
مكتبة إلكترونية
مجلة المركز «مدارات ونقوش»
للتواصل
هاتف
0097143940309
www.jbhsc.ae
info@jbhsc.ae
Jbhscae
Jbhscae
Jbhscae
Jbhsc AE

10
سنوات من التوثيق
المجالس الثقافية
مركز جمال بن حويرب للدراسات
Jamal Bin Howaireb Studies Center
Jbhscae | Jbhscae | Jbhscae | Jbhsc AE